

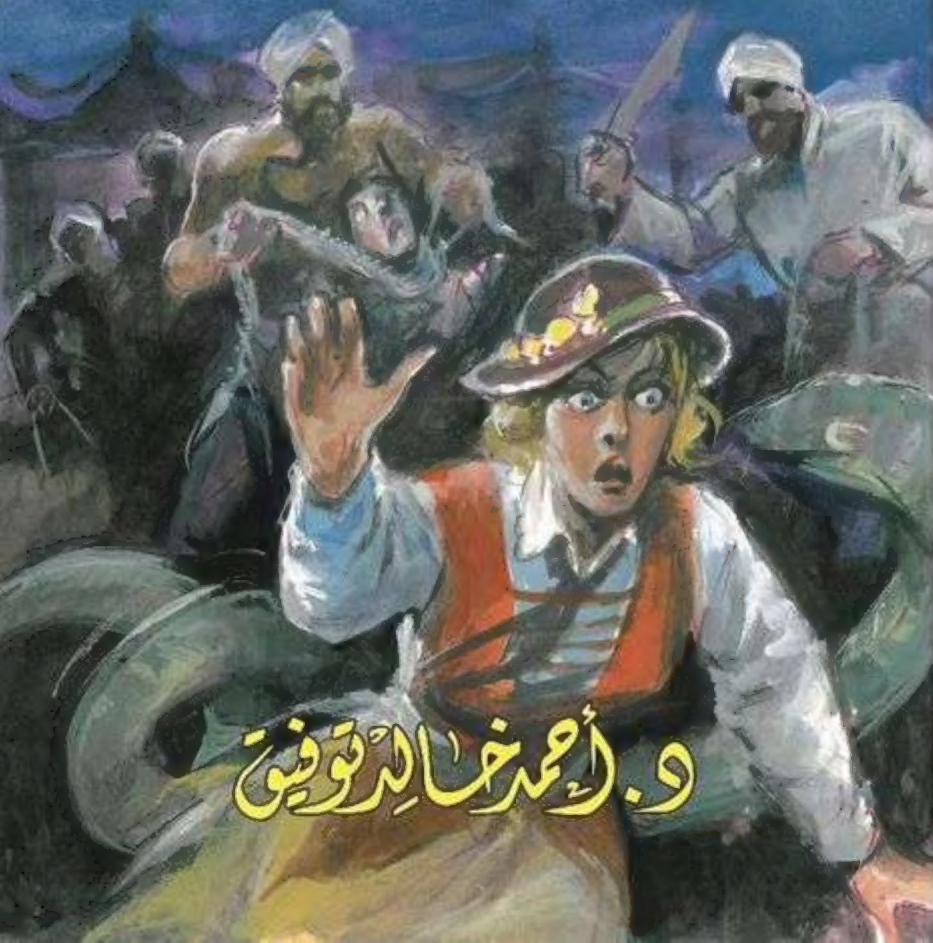
روايات مصرية | ٧٢

9

الخناقون

فانتازيا

د. أحمد خنيفة



مقدمة

اسمها (عبير) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهي تفتقر إلى
الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة
بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعباً
من أى شيء وكل شيء ...

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة
لا تصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سوانا ..
هى لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود
سيارات (الرالى) ، وليست عضواً فى فريق لمكافحة
الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) - برغم ذلك - تملك أرق روح عرفتها فى
حياتى .. تملك إحساساً بالجمال ورفقاً بالكائنات ..
وتملك مع كل هذا خيلاً يسمع المحيط بكل ما فيه ...
لهذا أرى أن (عبير) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا
وجد لقب كهذا يوماً ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ...
ستكون بطلتنا الدائمة .. وسوف نتعلم معاً كيف
نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرحاً إذا ما حاق بها
مكروه

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها
تخزن في مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف
الأحداث التي خلقها إبداع الأبداء عبر العصور ..
لذلك وقع عليها الاختيار كي ترحل إلى (فانتازيا) ..
(فانتازيا) أرض الأحلام التي لا تنتهى ..
(فانتازيا) حيث كل شيء ممكن .. وكل حلم متاح ..
(فانتازيا) جنة عاشقى الخيال
ولسوف نرحل جميعاً مع (عبير) .. سنضع حاجياتنا
وهومنا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..
وهناك سنتعلم كيف نحلم ...
إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته ..
هو ذا جرس المحطة يدق .. إنن فلنسرع ...!
لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..



١ - مفامرة جديدة ..

قطار (فانتازيا) يهدر بين معالم هذه الأرض التى غفل عنها الزمن .. أرض لا حياة لها سوى أفكار ملايين المفكرين والرسامين والمولعين بالحلم .. رسموا حدودها .. وأوجدوا سكاتها .. وشكلوا جبالها وسهولها وبحارها ..

و (عبير) فى القطار جوار (المرشد) تتأمل المشهد من النافذة ، وكذابها ترى عشرات الاحتمالات للحظات من الحلم ..

هل تصطاد الأسود مع قبائل (الزولو) ؟ أم تصطاد الفقمة مع رجال (الإسكيمو) ؟ أم تتعذب مع (آنا كارنينا) ؟ أم تحارب الكائنات الغريبة القادمة من المريخ فى حرب العوالم ؟ أم تتسلل إلى قصر الدوق مع (أرسين لوبين) ؟ أم تكون هى (سانتى) فى عالم (يوسف إدريس) ؟ أم أم ؟

(المرشد) صامت جوارها ، بوجهه الشبيه بقتاع

الموت .. لا يفعل أى شىء سوى مداعبة قلمه
الزنبركى الشهير :

- « تك تك تك ! تك تك تك ! »

مالت برأسها لتأمله .. وبعد هنيهة سألته :

- « (مرشد) ؟ ! »

- « تك تك ! هم م ؟ »

- « ماذا أفعل حين ينتهى كل هذا ؟ حين يصل

قطار (فانتازيا) إلى نهاية حدود المملكة ؟ »

مط شفتيه بمعنى أنه يستبعد هذا .. وقال :

- « مستحيل .. لا توجد حدود للإبداع البشرى ..

وبالتالى لا حدود لهذه الأرض إلا حين تقضى الحياة من

الكون .. »

- « لكنى لا أقرأ ! أنا حبيسة فى عالم الأطياف

هذا .. لا جديد على عقلى الباطن .. ولا بد أن يجيء

اليوم الذى ألتهم فيه نفسى .. وينقض خيالى على

نفسه .. »

- « هذا كلام سليم نظريًا .. لكنه عمليًا مستحيل ..

لقد كتب (هـ .. ج .. ويلز) رائعته (آلة الزمن) ..

لكنى أسألك عن عدد المعالجات التى تضمنت فكرة آلة

الزمن ؟ آلاف ! وبالتالي لن تكون زيارتك لعالم آلة
الزمن هي الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع .. «
من العدل أن نقول : إن (عبير) لم تشعر بأدنى
ذعر من وضعها الغريب .. لقد كانت تنتمي
لـ (فانتازيا) .. بطاقتها الشخصية الحقيقية تحمل
الجنسية الفانتازية .. وها هي ذى مرغمة على الحياة
على الأرض التي أحببتها كثيراً .. هل من إرغام أفضل
من هذا ؟!

إنها قد سئمت حياة الواقع حقاً .. وعرفت أنها
عاجزة عن السعادة فيها .. هي لا تملك (معدات)
الحياة في عالم الواقع ، ويبدو أنها قد أعدت لعالم
لا وجود له ، ككائن من (أوراتوس) ولد على
الأرض .. وظل الناس يلومونه ليلاً ونهاراً : ألن
تتأقلم يا أحمق ؟

الواقع أنه لن يتأقلم ...

الواقع أنه غير معد للحياة بيننا ...

الواقع أن المكان الوحيد الملائم له هو (أوراتوس) ..

وها هي ذى (عبير) قد ارتحلت إلى (أوراتوس) ..

بل هي مرغمة على البقاء فيه .. أليس هذا فانتازيا ؟

★ ★ ★

ولكن ما الذى حدث لـ (عبير) فى عالم الواقع ؟
ما موقف (شريف) مما حدث لزوجته (كانت قد
كفت عن أن تكون فأر تجاربه منذ زمن) ؟ ما مصير
الطفل فى أحشائها ؟

هذه الأسئلة لن نجيب عنها الآن ..
سنترك الأحداث تجرفنا معها .. وإن اصطدمننا
بصخرة الواقع يوماً فسوف نتحدث عن هذا بشيء من
التفصيل ..



نعود الآن إلى (عبير) الغارقة - كالعادة - فى
نشوتها ، وهى تتأمل آلاف الاحتمالات فى (فانتازيا) ..
هى ذى أسطورة (جلجاميش) الفارسية ..
وملحمة (الشهنامة) .. وهو ذا (سيف بن ذى
يزن) و (أبو زيد الهلالي) .. ومن بعيد ترى مدينة
(كامى) الجزائرية التى اجتاحتها الطاعون .. وترى
المغامرين الخمسة وكلبهم ، بينما الشاويش (فرقع)
يطاردهم حائقاً ..

ثم - أخيراً - ترى مدينة هندية ...
من السهل دائماً تبين معالم مدينة هندية فى

(فانتازيا) .. لأن (دى - جى - ٢) يضع كل البيض
فى سلة واحدة .. أفيال وأبقار وحواة وفقراء هنود
وراقصات ...

كانت قد خبرت هذا المناخ بشكل عابر مع (جيمس
بوند) فى إحدى مغامراته التى لا تصدق ..
الحق أنه لجو ساحر ويحرك الخيال ..
لكنها فقط لا ترتاح كثيراً للإصابة بالكوليرا
والملاريا والجذام ومرض الفيل والنزلات المعوية ..
وما أوفرها هنا ..

كأنما قرأ (المرشد) ما يدور بذهنها .. قال :
- « لا تخافى .. المرض هنا يخدم الخيال
ولا يؤذيه .. لن تصابى بداء الفيل دونما سبب كما
يحدث فى الواقع .. بل ستصابين به لو كانت هناك
ضرورة درامية ملحة لذلك ! »

- « هذا مطمئن .. »

- « هل أوقف القطار ؟ »

نظرت له فى شرود .. ثم هزت كتفها .. موافقة ..
وتوقف قطار (فانتازيا) عند محطته الجديدة ...

★ ★ ★

قال لها (المرشد) وهو يعينها على النزول :
- « إنها هند القرن التاسع عشر .. فيها كثير من
الأسرار التي لا يمكن التعبير عنها بكلمات .. يقولون :
إن الهند هي البلد الوحيد في العالم الذي لم يُكتشف
بعد .. »

قالت وهي ترفع ثوبها لتتخاضى بقعة من الوحل :
- « لكنى بالتأكيد قرأت عن القصة التالية .. »
- « حتماً .. لكنى سأتركك كي تكتشفها بنفسك .. »
- « ومن أنا اليوم ؟ »

تأملها في اهتمام من قمة رأسها إلى أخمص
قدميها .. كأنما يراها للمرة الأولى .. واكتسى وجهه
الجامد بقتاع التفكير :

- « فلنر .. يمكننى أن أجعلك امرأة هندية ترتدى
السارى .. أو فتاة إنجليزية .. أنت تعلمين أن إنجلترا
كانت تسيطر على الهند في هذا الوقت .. يوجد هنا
الكثير من الإنجليز : جنرالات وجنود ومعلمون
وقساوسة ومهندسون .. »

قالت له وهي ترمق الأفق :
- « إذن .. لأكن امرأة هندية .. »

- « لا .. هذا لن يفيد سياق القصة التى أعدت لك ..

ستكونين »

وهنا نظرت (عبير) إلى ثيابها لتجد أنها تحمل
مظلة رقيقة .. وترتدى قبعة تغطيها الزهور ..
وتايورا أنيقا فتح صدره ليكشف عن قميص أبيض
وربطة عنق كربطات الرجال ..

ووجدت أن يديها صارتا بيضاوين بلون الثلج ..
ولى اللون الخمرى المحبب المميز لها ..
على حين استكمل (المرشد) عبارته :

- « .. مس (ملدريد هولرويد) .. المدرسة الشابة
التي تعلم اللغة الإنجليزية لأطفال المستعمرات .. »
فى حلق صاحت :

- « أنا أدرس الإنجليزية ؟ هل جئنت ؟ إن كل
ما أعرفه من الإنجليزية هو كلمة (How is Farid ?) ..
وكان كتاب المدرسة يحتم أن يكون الرد هو :
(He is fine Too !) »

قال لها وقد بدا كمن أهين :

- « من جديد تنسين أنك فى (فانتازيا) حيث
لا مشاكل لغوية من أى نوع .. ألم تجيدى اليونانية
والديموطيقية والروسية فى مغامرات سابقة ؟ »

وقبل أن تخرج لفظة (بلى) من فيها ؛ كان قد
اختفى كالعادة .. وأدركت أن الوقت قد حان للاندماج
في عالمها الجديد ...

ولكن حذار يا (عبير) .. حذار !
إن المغامرة القادمة خطيرة إلى حد ما ...
لقد كان اختيارك غير موفق للأسف ..



٢ - معلمة الإمبراطورية ..

لأيام بدأت (عبير) تستشعر تلك اللذة غير المسبوقة : لذة التدريس .. أن يكون عليها أن تجلس إلى وجوه الأطفال السمرء النضرة ، تنقل إليهم بعض ما تعرف .. ويكون في يقينها أنهم سيغادرون قاعة الدرس وهم يعرفون أكثر .. حتى ولو كان تعبيراً جديداً أو لفظة ..

ما أجمل عيونهم ! العيون السوداء المتسعة التي تحرسها غابة كثيفة من الأهداب الناعمة .. عيون حساسة ذكية .. جعلتها تنسى أجسادهم الهزيلة العارية التي تنشى بسوء التغذية والفقر ..

إن الذكاء الفطري للأطفال حقيقة - خطر لها - وهذا يجعل منهم مخلوقات لا يمكن مقاومتها .. كان هناك طفلان إنجليزيان لكنهما - لشدة الغربة - كانا أكثر غباءً وثقل ظل من كل الهنود الذين جلسوا حولها ..

كانت هذه هي (دلهي) في العام ١٨٤٣ ..
لم تكن الحقائق التاريخية دقيقة تماما .. فالأمر كله
يعتمد على ما تعرفه (عبير) عن الهند في هذه
الحقبة .. وبطبيعة الحال لم يكن كثيرا .. وكان
مصدره الأوحده هو فيلم قديم رآته في التلفزيون هو :
(ممر إلى الهند) ..

لكنها كانت ترى الجنود الإنجليز في كل صوب
بثيابهم الاستعمارية المميزة ، وكانت ترى الجنود
(السيخ) بلحاهم الكثيفة ، وكانت تعرف أن مدير
المدرسة إنجليزي هو المستر (إيمرسون) .. ، وكان
هناك قس بروتستانتى هو الأب (ماكنزى) بثوبه
الأسود الطويل المميز وياقته البيضاء الناصعة ..
والمونوكل الذى يعلقه على عينه ..

ولو كانت (عبير) واسعة الثقافة لعرفت أن
(دلهي) اختيرت لتكون عاصمة الهند مرتين في
تاريخها ، وذلك لتوسط موقعها واعتدال مناخها ..
المررة الأولى كانت في عهد إمبراطورية المغول ..
والمررة الثانية عام ١٩١٢ .. وقبل هذا التاريخ كانت
(كلكتا) هي العاصمة ..

إن (دلهي) مدينة قديمة حقًا ، ويبدو أنها كانت
دومًا هناك منذ دخل الإسكندر الهند .. وغدت عاصمة
لدولة هندوسية إلى أن أغار عليها (محمد الغور)
سنة ١١٩١م .. وبنى بها السلطان (قطب الدين أيبك)
حيًا إسلاميًا يعرف بـ (مدينة قطب) ..

ولقد دمرت (دلهي) حين هاجمها (تيمورلنك)
لكن السلطان (أكبر) جردها وشهدت دولة المغول
المسلمين حتى عام ١٨٥٧

لقد جعل (شاه جهان) من (دلهي) تحفة فنية
إسلامية زاخرة بالمساجد والمآذن الدقيقة .. وبنى بها
واحدًا من أكبر مساجد الدنيا - إن لم يكن أكبرها -
هو المسجد الجامع .

هل تسألون عن (تاج محل) ؟ كلا يا رفاق .. إن
(شاه جهان) هو باتي (تاج محل) حقًا .. لكنه بناه
في (أجرا) وليس (دلهي) .. هناك حيث تشوى
رفات زوجته المحبوبة (ممتاز محل) ..

الواقع أن تاريخ الهند العريق كان دائمًا باسمًا
مفعمًا بالمجد .. حتى جاء الإنجليز !

دائمًا هناك الإنجليز بسفنهم ومدافعهم يأتون

ليفسدوا كل شيء .. جاءوا أولاً مرتدين ثياب التجار
تحت اسم (شركة الهند الإنجليزية) .. ثم تحولت
التجارة إلى حكم استعماري سافر عام ١٧٦٤
وظل الهنود يرزحون تحت سيطرة (جون بول)
القادم من شمال أوروبا .. حتى عام ١٩٤٧م .. حين
استقلت الهند وباكستان ..

وهذه قصة طويلة أشبه بأساطير هذا البلد العجيب ..
تري فيها شيخاً متهاكاً اسمه (غاندى) وشاباً
متحمساً اسمه (نهرى) ورجلاً حويطاً اسمه (محمد
على جناح) ..

لكن ليس هذا هو الموضع المناسب لسرد تلك
الأحداث ..

. نحن فى (فانتازيا) حيث الخيال هو الحقيقة
الوحيدة المعترف بها ..



فى ذلك اليوم استدعاها المستر (إمرسون) إلى
مكتبه .. ولم يكن من المعتاد أن يفعل ذلك .. لهذا
أدركت على الفور أن الأمر يتعلق بكارثة محققة فى
الطريق ..

بقلب واجف يوشك على التوقف أو السقوط فى
ضلووعها ؛ اجتازت المدخل الضيق لتدلف إلى المكتب ..
ثمة خريطة عملاقة للعالم على الجدار أشبه بالتى
كان يعلقها (هتلر) فى مقره بـ (الرايخستاغ) ..
ونموذج للكرة الأرضية على المكتب .. جواره علم
بريطانيا بألوانه الاستعمارية المميزة ..

للمرة الأولى ترى مستر (إمرسون) عن كثب إلى
هذا الحد .. بدا لها كذب حديقة الحيوان حينما تراه
على الطبيعة أول مرة .. بحاجبيه الكثين غزيرى
الشعر اللذين يوشكان على حجب عينيه .. وسالفيه
الكثين المشعثين كسالفى قرد (البابون) .. والغليون
المشتعل فى يده لا يكاد يدسه بين شفتيه أبداً ..
كان رهيباً .. وأدركت أن ما يقوله سيكون رهيباً
كذلك ..

- « أوه .. مس (هولرويد) ! كنت أريدك ... »
دنت منه فى هيئة محاولة ألا تتعثر فى تنورتها ..
رائحة التبغ تفعم أنفها فتوشك على السعال .. لكن
السعال ليس مستحباً جداً فى حضرة الرؤساء ...
وارتفع الحاجبان الكثان ليكشف عن عيني زرقاوين

شديدي النفاذ والتأثير .. كأتھما سلاحان فتاكان
يضعھما في غمدهما لحين الحاجة إلى استعمالھما ..
أردف الرجل بنفس اللهجة الإنجليزية الممتازة :
- « إن لدى تقارير عدة عن تجاوزات معينة في
الصف الخاص بك .. »

خرج صوتها مبحوحاً كأنما لم تستعمله قط :
- « ت .. تجاوزات ؟ »

- « نعم .. يقال إنك تدللين الأطفال الهنود أكثر من
اللازم .. »

لم تدر ما تقول .. فهي تهمة لا تنكرها وشرف
لا تدعيه .. بعد هنيهة قالت وهي تبتلع ريقها :

- « وماذا في ذلك ؟ إنهم أطفال على كل حال .. »

- « أطفال المستعمرات لا يمكن اعتبارهم أطفالاً .. »

ثم ضيق عينيه باحثاً عن تعبير موفق :

- « .. إنهم أعداء صفار السن .. وعلينا أن

نربھم بطريقة تلغى خطرهم حينما يكبرون .. ترين
أن الأمر شبيه بالإشراف على مجموعة من الثعابين
الوليدة .. »

هنا فھمت (عبير) شخصية المستر (إمرسون)
بوضوح تام ..



لم تدر ما تقول .. فهي تهمة لا تنكرها وشرف لا تدعيه .. بعد
هنية قالت وهي تبتلع ريقها : - « وماذا في ذلك ؟ » ..

إنه هو (جون بول) ذاته .. الإنجليزى الاستعماري
العتيد الذى كانت تراه فى الرسوم الكاريكاتورية ..
باحتراره الدائم لشعوب الأرض غير الإنجليزية ، ونهمه
الذى لا ينتهى إلى المستعمرات ..

من الصعب الجدل مع رجل كهذا .. رجل يؤمن بأنه
على صواب وأن الباقيين حثالة ..
هزت رأسها فى استسلام قائلة :

- « سأحاول يا مستر (إمرسون) .. »

- « لا أريد المحاولات بل التنفيذ ... الطفل الهندي
ملوم دائماً .. على خطأ طيلة الوقت .. ويجب أن
تفرسى فيه الشعور بالدونية ! »

- « سـ .. سأحاول .. بل سأفعل .. »

- « ولتكفى عن تعاطفك مع أهل هؤلاء الصبية ..
نحن لسنا فى (لندن) كي تصادق أمهات تلاميذك ..
فضلاً عن أن نصف هؤلاء الهنديات مصابات بالجذام .. »
ثم هز رأسه فى رضا .. وغمغم وهو يعيد عينيه
إلى غمدهما :

- « حسن .. والآن عودى لعملك واهرصى على
أن يكون من مسلكك مفخرة للتاج ولوطنك .. »

كانت هذه هي نهاية المقابلة ، وغادرت (عبير)
المكتب شاعرة بالخزي .. ولم تكن قوية الشخصية
إلى حد الشعور بالخزي من كونها لم تجابهه بصراحة ..
كما أنها لم تكن شريرة إلى حد الشعور بالخزي لأنها
لم تكن جديرة بالتاج البريطاتي .. فقط شعرت بخزي
لا تدرى تفسيراً واضحاً له ..



كان الأب (ماكنزي) عاكفاً على تعليم الصبية
بعض الأناشيد الدينية .. وفي تأدب طلبت منه (عبير)
أن ينسحب ليتحدثا على انفراد ..

ضم طرفي عباءته السوداء وأشار إلى أنجب
التلاميذ كي يقف مكانه ليقود زملاءه في الإنشاد :
- « ها لك - لك - يو - يااااه ! »

وفي تودة تبعها إلى خارج الغرفة ، بينما الحناجر
الصفيرة مستمرة في الغناء الذي بدا لها رخيماً حقاً ..
سألته وهي تتأمل عينية الزرقاوين الصافيتين :
- « ألسنا متساوين ؟ »

سألها بدوره في كياسة :
- « طبعاً .. إن الرب لا يعرف الفوارق التي نضعها
بيننا .. »

هتفت في ارتياح :

- « إذن .. فالأطفال الهنود هم كالأطفال الإنجليز

في كل شيء ! »

هنا تدارك خطأه .. فقال في عجلة :

- « كنت أتحدث عن الإنجليز .. إنهم جميعاً

سواسية .. »

- « والهنود ؟ »

- « بعض الناس متساوون أكثر من سواهم ! »

- « هل يعنى هذا أننا خير منهم .. حتى لو كانوا

على ديننا ؟ »

قال الأب في حكمة ورصانة :

- « إن قواعد الدين لا تنطبق على أبناء

المستعمرات .. لا ينبغي أن نكف عن لعب دور السادة

مع هؤلاء .. نعلمهم كل شيء .. الدين .. اللغة ..

الحضارة .. والتلميذ لا يسبق أستاذه أبداً .. سيظلون

مدينين لنا أبداً .. وسيظلون في مرتبة أدنى منا مهما

حدث .. »

ثم أردف وهو يثبت عينيه في وجهها :

- « تسألين أسئلة خطيرة .. أرجو أن تتوقفى عنها

في الوقت المناسب .. »

واستدار ليعود إلى غرفة الدرس .. وهو يدمدم :

- « فليهدك الرب إلى اليقين يا بنيتى .. »

وقفت (عبير) هنيهة بادية البلاهة .. عاجزة عن اتخاذ رأى بخصوص كل هذا .. ثم وصلت إلى الحقيقة المريرة .. وهى أن (انجلترا) لا توظف الدين لهداية الهنود وإقناذهم من الهندوكية .. بل لجعلهم يخضعون لها عن يقين .. يخضعون عن إيمان ...

حتى الدين يعمل موظفا لدى الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ..

وفى سرها تساءلت عن المغامرة التى تنتظرها فى هذا المكان الكئيب .. على حين تصاعد صوت الصبية من قاعة الدرس المغلقة :

- « ها لك - لك - يو ياا - اه ! »



٣ - نزهة ليلية ..

يجب أن تفرّ .. يجب ..

ولكن إلى أين ؟

إن الهند بمساحتها الشاسعة تبدو الآن أضيق من
غرفتها في عالم الواقع وهي - كالعادة - لا تعرف أين
تتوارى أو تقضى ليلتها ...

لسوف يجدونها دون عناء ..

وعندها

★ ★ ★

ولكن .. كيف وجدت نفسها في هذا المأزق ؟

السبب معروف .. وهو ما يسمونه بلهجة

العصابات (أنها عرفت أكثر مما ينبغي) ..

فما هو هذا الـ (أكثر مما ينبغي) الذي عرفته ؟

وكيف عرفته ؟

إنها لقصة طويلة تحتاج إلى العودة بضعة أيام إلى

الوراء ..

★ ★ ★

بالتأكيد يمكننا بدء السرد من السوق .. لا توجد
أحداث تذكر قبل هذا اليوم الذي كان - ما لم تخنها
الذاكرة - يوم الأربعاء ..

كانت تجول في أحد أسواق (دلهي) .. معها
خادمتها الهندية .. والحمال (رامو) الذي يجمع بين
مهنة الحمال والحارس الخاص لها .. وهو من طائفة
(السيخ) التي حاولت أن تقرب بين الإسلام
والهندوكية ، ولهم شكل مميز لا تخطئه العين
بعماماتهم الشامخة ولحاهم الكثة التي يضعونها في
شبكة ، كالتي تلف النساء فيها شعورهن ..

كانت (عبير) متأقّة كما يجدر بها أن تكون ..
وعلى رأسها قبعة محلاة بالزهور .. وفي يدها مظلة
رقيقة أنيقة ... وشرع الشحاذون يطاردون لها في
إلحاح .. وبعضهم راح يعرض عاهته عليها على أمل
جعل قلبها يرق قليلاً .

- « هيه أيتها الآسفة الإنجليزية .. إن ساقى
لم تعد »

ثم يكشف عن ساقه التي أحالها داء الفيل إلى جذع
شجرة مجعد مترهل .. فتطلق (عبير) آهة وتشيح

بوجهها .. عندئذ يثب (رامو) إلى الشحاذ ليزيحه
جانباً ويسبهه بعبارات من قبيل :

- « رائدات براهاه مهان هاراه راجا ! »

وهي شتائم مقذعة جداً بالتأكيد لأن وجه الخادمة
يحمّر حياءً .. ولحسن حظ (عبير) أنها لا تفهم
سوى الإنجليزية في هذه المغامرة .. إن دورها هنا
يتطلب الجهل التام باللغة (الأوردية) التي
يستعملونها بكثرة حولها .. دعك طبعا من لغات
(التاميل) و (المالايام) و (جوجاراتي) و (ماراتي) ..
إن الهند - ولله الحمد - تتكلم مائتي لغة مختلفة ..
حتى إن المتعلمين يتحدثون فيما بينهم بالإنجليزية
تحاشياً لحواجز اللغة !

نعود لما كنا نقول

(عبير) تشق طريقها في زحام السوق ، لاعبة
ببراعة دور المعلمة الإنجليزية الحسناء المس
(ملريد هولرويد) ...

ابتاعت بعض الموز والماتجو .. وببغاء جميل
الشكل في قفص أبيض .. وراحت تتسلى بمراقبة
النسائيس الصغيرة وهي تسرق الموز من وراء ظهر
الباعة ، ثم تفرّ لتلتهمه فوق أسطح الخيام ..

كان هناك واحد من (الشيخ) قد علق نفسه فى
الهواء بوساطة خطاطيف تتشبث بلحمه .. ويرغم هذا
المشهد الرهيب لم يبد مباليا بالألم على الإطلاق ..
سألت (رامو) فى حيرة عن معنى هذا العمل
الأبلىه .. فقال لها وهو يضم كفيه إلى بعضهما أمام
صدره فى وضع الابتهاال الذى يتخذه مليون مرة فى
الساعة :

- « إبه نذر يا آنسة ! »
- « يا سلام ؟! وما جدوى أن يعذب نفسه إلى هذا
الحد ! »

- « لا نذر دون ألم .. »
قالت ، وكان الحماس قد انتقل إليه .. استل خنجرًا
متعرج النصل وأولجه فى خذه الأيمن ليخرج من خذه
الأيسر .. إبه نذر آخر من نذور هؤلاء (الشيخ) !
رأت (عبير) فقيرًا هنديًا ينام فوق فراش من
المسامير .. ورأت حاويًا يخرج النار من فيه .. ورأت
ثالثًا ينفخ المزمار أمام سلة تطل منها حفنة من
ثعابين الكوبرا (ذات المنظار) .. ويسمون بها بهذا
الاسم لأن هناك رسم منظار على ظهورها ..

وكانت الثعابين تتمايل يمينا ويسارا مع اللحن ..
فتذكرت (عبير) ما قرأته يوما من أن الحاي يتمايل
بجسده فيرغم الثعابين على متابعته بذات الكيفية ..
وبالتالى تعطى انطباع الرقص لمن يراها
كل الهند كانت موجودة فى هذه السوق ، وبأسلوب
(دى - جى - ٢) المعتاد فى تقديم كل شىء على
خشبة مسرح واحدة

لكن شيئا واحداً أثار شغفها أكثر من سواه ...
كان هناك شاب هندي يرتدى ما يشبه منامة
بيضاء ، وعلى رأسه عمامة وردية اللون .. شاب
أسمر وسيم الملامح .. لكنها لم تجد صعوبة فى تمييز
التشابه الواضح بينه وبين (شريف) ..
إن هذا هو قدرها إذن !

سيكون رفيقها فى هذه المغامرة التى لا تدرى عنها
شيئا .

وهنا لم تعد قائرة على أن تقرر .. هل تذهب إليه ؟
تذهب إلى قدرها مباشرة ؟ أم تنتظر أن يجدها قدرها
بنفسه ؟

لكن الأحداث لم تترك لها فرصة للحيرة .. لأنها

وجدت الفتى يخرج مزماراً ويبدأ فى العزف .. وفى
اللحظة التالية رأت حبلاً .. حبلاً عادياً جداً يرتفع
ببطء إلى السماء !

إذن فالفتى ساحر هندي من سحرة الحبال إياهم ..
كان المشهد مبهرًا حقًا .. فالحبل يرتفع إلى علو
عشرة أمتار تقريبًا .. ثم إذا بفتاة هندية حسناء تدنو
منه فتسلقه بتؤدة وثقة إلى منتصفه .. وتتشبث بيد
وقدم واحدة بالحبل لتلوح باليد الحرة فى الهواء
كلاعبة (تراپيز) فى السيرك ..

الصغير يتعالى .. وروبلات كثيرة تسقط فى سلة
الحاوى ..

وقفت - كالمنومة مغناطيسيًا - تتأمل المشهد غير
فاهمة ولا مصدقة .. وبعين حذرة راحت تبحث عن
حيلة خبيثة ما .. فالأمور لا يمكن أن تسير على هذا
المنوال أبدًا ، لكن الأمر كان حقيقياً .. حقيقياً إلى حد
يثير الغيظ فى النفس ..

هنا رأت الفتى يبادلها النظرات ..

دنت أكثر من المشهد ومن عيني الفتى .. العينين
المغناطيسيتين اللتين تنجحان - بشكل ما - فى جعلك

لا تلاحظ شيئاً مما يحيط بهما .. أى أنك تنسى كل
شيء عن وجه صاحبهما كأنما لم يكن فى وجهه
سوى عينين فوق عنق !

سمعت صوته من بعيد يخاطبها :

- « هل راق لك المشهد يا آنستى ؟ »

بتلك اللهجة الهندية التى (تبهدل) اللغة الإنجليزية ،
و (تبهدل) حروف الدال والجيم لتحيلها إلى
أشلاء ...

لم تدرك كيف ترد .. فهو - على كل حال - مجرد
حاو فى سوق .. كالذين يمشون عراة الصدور فى
أسواقنا ويصعدون إلى الحافلات ليضربوا صدورهم
بصخرة هاتفين .. اتفرج يا مؤمن !

قالت فى كبرياء محاولة أن تبدو قليلة الاهتمام :

- « إنه .. جيد »

يبدو أنه كان قد أطل الحديث أكثر من اللازم ،
وأنه قد نسى استعمال المزمар لتذكير الحبل بأن يظل
شامخاً .. لأن صوت الصراخ دوى تلاه صوت سقطة
مروعة من على ارتفاع خمسة أمتار ..

قالت (عبير) بذات الكبرياء :

- « أوه .. معذرة ! يبدو أن زميلتك قد تهشم رأسها .. »

- « لا عليك .. إنها أشياء تحدث .. لا أحد يموت بسهولة في الهند إلا بالكوليرا .. »

ثم أرشف وعيناه السوداوان تواصلان اقتحام برودها :
- « هل أنت منبهرة ؟ »

- « يصعب أن انتظر بالعكس .. »

- « أنا (قسمت) .. هل يذكرك الاسم بشيء ؟ »
مطت شفيتها في لامبالاة .. وغمغت :

- « هل هذا مفترض ؟ »

- « كل (دلهي) تعرف (قسمت) .. أفضل مشعوذ في المدينة وربما في العالم كله .. »

- « ربما ليس ذنبى أن اسمك لم يعبر البحار

بعد .. »

- « إن (قسمت) مشعوذ موهوب .. يجيد كل

شيء .. (قسمت) ذو القلب الشهم والأنامل الذهبية ..

(قسمت) الذى يفعل كل شيء ويقتنع بأنه قادر على

فعل الباقي .. (قسمت) أظرف الظرفاء وأذكى

الأذكىاء وأقوى الأقوياء .. »

كان يتحدث في حماس وهو يلوح بيديه في الهواء
أتيا بحركات تمثيلية تجسم كل معنى من المعاني ..
عيناه اليقظتان في محجريهما ، وحماسه المعدي الذي
لو ألقى في نهر الموت للوَّته ولجعل الموتى يرقصون
طرباً في قبورهم ...

حركات ساقيه وهو يتكلم .. كأنما ليرقص رقصة
خاصة غير عادية .. وكأن كلماته لحناً وإيقاعاً
خاصين ليس يسمعهما سواه .. وهو يتوسل إليك كي
تشعر بهذا الإيقاع معه ..

(قسمت) ! من ذا الذي لا يعرف (قسمت) ؟
ولم تقع (عبير) في هواه .. كلا .. من التسرع
أن نزع هذا ..

لكن يمكننا أن نقول دون مبالغة كبيرة إنها شعرت
بميل شديد إليه ، وبدلها طريقاً إلى أقصى حد ممكن ..
لقد بذر البذرة في روحها .. تلك البذرة التي لو
تعهدنا أكثر لأورقت وأزهرت وأثمرت .. إن الحب
- مثله مثل كل شيء آخر - يحتاج إلى جهد وموالة
مستمرين ، خاصة حين يكون عليه أن يزلزل مشاعر
هذه الأنسة الإنجليزية الاستعمارية ..

- « لقد تأخرنا يا آنسة .. هلا شرعنا فى العودة ؟ »
تقولها الخادمة فى كياسة .. ويقول (رامو) فى
فضاظة ..

- « فلتكفّ يا رجل عن مضايقة الآنسة .. »
ويلوح بقبضته العملاقة التى تقارب فى حجمها
رأس الرجل ذاته .. فتقول (عبير) وهى تستدير
وعيناها لا تفارقان المشعوذ :

- « دعه يا (رامو) .. إن ما يقدمه لمسل حقاً ..
مسل .. ومثير .. »

ويغيب ثلاثتهم وسط زحام الوجوه القاتمة ..
والروائح الشرقية التى تسبب الدوار ..

لكن (عبير) تنظر إلى الوراء لترى ذلك الحبل
يرتفع فوق الرءوس .. وتسمع أنين المزممار الذى
يمزج بين الأنين والمرح بشكل غير مسبوق ..
وتعرف أنها ليست بحال طبيعية ...

من ذا الذى لا يعرف (قسمت) ؟

★ ★ ★

- « هل ترغب الآنسة فى نزهة ليلية ؟ »
كانت (عبير) - أو (ميلدريد) - قد فرغت من

تناول العشاء فى مسكنها الصغير المريح الذى تعيش فيه. مع أربع فتيات إنجليزيات أخريات - أبنى فتاتين وعاتسين - كهن يعملن فى التدريس .. وكان المسكن مريحاً حقاً لولا حرارة الجو الرطب المرهقة للأعصاب .. ولولا الأمطار الاستوائية التى لا تنقطع طيلة اليوم .. ولكم بدا له (عبير) غريباً أن تشعر بكل هذه الحرارة تحت الأمطار .. فهو شعور لم تألفه فى مصر حيث المطر والبرد مترادفان .. لكنها فى الهند عرفت معنى الأمطار الساخنة .. الأمطار الممتزجة بالعرق والرطوبة كأنما أنت دجاجة يتم سلقها بأسلوب مبتكر ...

فى مناخ مقيت كهذا يصعب عليك أن تقضى أمسياتك فى الدار .. فالحر يجثم على روحك كأنه من علامات الساعة ..

لهذا بدا لها هذا العرض الذى قدمته الخادمة (جوتسنا) بعد العشاء مغرباً إلى حد كبير ..
صاحت زميلتها (سوزان) معترضة وهى تلتهم شرائح الماتجو :

- « إن (رامو) ليس هنا .. ومن العسير أن تخرجى دون صحبة رجل .. »

- « ربما كان المستر (جونز) »
- « أعنى رجلاً حقيقياً .. رجلاً هندياً لا واحداً من
الإنجليز .. إن هؤلاء إلى النساء أقرب .. »
كانت (سوزان) فتاة شقراء فى الثلاثين من
عمرها ، لكن وجهها الملىء بالنمش كان يجعلها أقرب
إلى طفلة خرقاء .. وكانت تؤمن أن الرجل الحقيقى
يجب أن يكون كتلة فظة من الشعر والعضلات
والسباب .. وأن اختلاف الرجل عن الأنثى يجب أن
يكون واضحاً كل الوضوح ..

قالت (عبير) وهى ترشف القهوة :
- « إن القمر مكتمل هذه الليلة .. هذا يضى
رومانسية محببة على نزهتنا .. ثم إن الهنود لا يأكلون
لحم البشر .. »

- « لكنهم يمقتون الإنجليز .. »
لكن (عبير) كانت تعرف ..
لا أحد يمقتها فى (دلهى) .. فهى لم تؤذ أحداً
ولم تتعال على أحد .. إنها تحبهم ولهذا لاتجد سبباً
واحداً يمنعهم من حبها ..
لهذا حزمت أمرها .. وارتدت ثياباً خفيفة مناسبة

للخروج ليلاً .. ولقت الخادمة السارى حول خصرها
العارى .. هنا وجدت (سوزان) أن خير ما تفعله هو
الخروج مع الفتاتين ..



ما أروع الليل الاستوائى !
إنه حار خائق ملىء بالشجن والإحساس بالتوجس ..
هل يوجد ليل أجمل من هذا ؟
والفتيات الثلاث يمشين تحت الأمطار الخفيفة الحاتية
متمهلات .. (وجوتسنا) ترفع مظلة عملاقة تحاول
أن تحمى بها ثلاثتهن من البلل ..
الأحوال قد بدأت تعوق سيرهن ، لكن افترساتهن
بالمناخ الساحر جعلهن لايبالين بكل هذا
التمائيل على المعابد الهندية تلتمع بذلك الضوء
الأزرق الغامض .. ضوء القمر إذ يسقط على البلل ،
ورائحة الجو الرطبة تشى بالخصوبة ونداء غامض
عبر الأجيال يدعوك أن .. أن ماذا ؟ لا تدرى بالضبط
لكنك فى حاجة ماسة لأن تفعله ..

لا بد أن التماسيح تتقلب الآن فى نهر (الجانج) ،
ولا بد أن حكيمًا بوذيًا يجلس أمام كوخه يترنم

بـ (البهاجا فادجيتا) وهو يرمى المطر المنهمر ، ولا بد
أن الأطفال العراة يلعبون في الوحل ...

نعم .. هناك طفل .. لكنه لا يلعب .. بل هو يركض
مذعورا وعلى وجهه أعشى علامات الرعب .. جاء
خارجا من طيات الظلام ..

(سوزان) كانت أول من رآه .. ولففت انتباه
الفتاتين الأخريين إليه .. كان صغير السن في الثامنة
من عمره أول أقل قليلا .. وكان يركض في اتجاهين
وهو ينظر إلى الوراء كأن الشيطان يطارده ..
لهذا لم يرهن ..

ولهذا اصطدم بهن حتى كاد يوقع (عبير) في
الوحل ..

وحين تبينت وجهه الذي مسخه الرعب عرفت أنه
(سابور) .. إنه من تلاميذ صفها .. بل هو واحد
من أنجبهم وأكثرهم ذكاء ..

« (سابور) ؟ ما الذي ؟ »

كان الرعب قد خلط حروفه ببعضها فأحالتها نوعا
من (سلطنة) الكلمات التي يستحيل أن تستخرج منها
مقطعا مفيدا ..

- « التجددة ! يا أنسة .. هم خلفى .. يريدون
أن »

وقبل أن تفهم المزيد كان قد أطلق لساقيه العنان ،
متوارياً فى الليل الاستوائى الثقيل

★ ★ ★



وقبل أن تفهم المزيد كان قد أطلق لساقيه العنان ، متوارياً في الليل
الاستوائى الثقيل ..

٤ - شيء ما يحدث ..

نظرات بلهاء يتبادلونها فيما بينهم بلانئة للإجابة ..
إذن عليها أن تكرر سؤالها من جديد :
- « أين (سايور) ؟ »

الصمت من جديد .. لكنه الصمت الذي يتكلم
ويثرثر ويقول الكثير جدًا ..
يقول - بوضوح - إن مكان (سايور) سرًا لا يجوز
البوح به ..

جذبت (عبير) شهيقًا عميقًا إلى رئتيها .. وعادت
تكرر السؤال :

- « أين (سايور) ؟ لقد رأيته البارحة عند منتصف
الليل .. وكان يفرّ مذعورًا من خطر ما .. واليوم
لا أراه في الصف .. فهل لدى أحدكم فكرة عن
مصيره ! »

لم يرّد أحد وتشاغل بعض التلاميذ بالتقليب في
صفحات كراساتهم .. من ثمّ أيقنت أنهم يعرفون ..

كلهم - هؤلاء الشياطين - يعرفون .. لكنهم غير راغبين
فى إقحام الأجانب فى الموضوع ...

★ ★ ★

أين (سايور) ؟

لم تستطع قط أن تنسى نظرة الهلع فى عيني
الصبى وهو يركض .. ولم تستطع أن تنسى ما هو
أقسى : لقد طلب عونها لكنه فرَّ قبل أن تقدمه له !
لم يكن لديه وقت لتبين قدرتها على معاونته ...
كانت تفكر فى أشياء كهذه حين قرعت الباب
بقبضتها ..

- « ها لك - للو - يا - الله - ! »

صوت الإنشاد ينبعث من الداخل كعادته عذباً
رقيقاً كنهر (الجانج) .. ثم ينفتح الباب ويبرز وجه
الأب (ماكنزى) وهو يعيد تثبيت (المونوكل) فى
محجر عينه اليسرى .. وينظر لها فى دهشة ...
مشكلتها هى أنها تحاول جادة أن تجعله صديقها ،
لكنه يأبى إلا أن يعتبر (بعض البشر متساوين أكثر
من سواهم) ، ولا يكف عن إحباطها من حين لآخر ..
فهو يؤمن أن دور رجل الدين فى المستعمرات هو
تبرير الاحتلال لا أكثر ولا أقل ..

لهذا أصغى لكلامها في اهتمام .. وسفه أفكارها في
اهتمام أكبر .. وقال لها : إن هؤلاء الهنود لهم
مشاكلهم الخاصة وعاداتهم التي يجدر بكل إنجليزى
يحترم نفسه أن ينأى عنها ...

- « إن من يتحاشى النظر فى المرحاض يوفر على
نفسه أشمئزاً كثيراً .. »

هذه هى حكمة اليوم التى أخذتها منه .. فشكرته
دون حماس .. واتسحبت تاركة إياه يعود إلى الغرفة
التي يتردد من داخلها الإنشاد :

- « هال - لك - لك - يواااه ! »

★ ★ ★

أين (سابور) ؟

قد مضى يومان ولم يظهر الصغير ذو العينين
اللوزيتين اللامعتين اللتين لا تهمدان فى محجريهما ..
ومن الغريب أن أحداً لم يقلق أو يتساءل أو يبحث
عنه .. ثمة مؤامرة صامتة اشترك فيها الجميع لإنكار
وجود كائن حى مفعم بالنشاط والذكاء ..

وحين جاء المساء دعته الخادمة إلى جولة ليلية
أخرى فى (دلهى) .. فتحمست (عبير) وتحمست

(سوازن) إلى حد ما .. فالمشهد كان مثيراً للخيال
دون شك في تلك الأمسية ..

إن (جوتسنا) فتاة لطيفة المعشر .. هندية مائة
بالمائة .. ولأنها هندية فهي صموت تكتفى بالابتسام
مع رفع الحاجبين ، ولا تقول شيئاً على الإطلاق إلا
ما هو ضرورى ..

لكم أحببتها (عبير) ! ربما لأنها مثلها في عالم
الواقع .. تفتقر للجمال .. نعسة .. معدومة الحيلة ..
باهتة لا تعلق بالذاكرة ..

لكن (جوتسنا) كانت تعرف الهند .. كانت تعرف
بلدها كما يعرف سائق التاكسى وسط القاهرة عندما ..
تعرفها كواحد من (أبناء البلد) القدامى يعرف كل
زقاق وكل شارع في باب اللوق ..

ومشت الفتيات الثلاث في الشوارع الفقيرة يصغين
إلى صوت أحذيتهم إذ تضرب الأرض .. وقد بقى
شيء من ضوء القمر الشاحب الذى كان فى قمة
رونقه منذ يومين ..

سألت (عبير) خادمتها فى كياسة :

- « لم يظهر أثر لهذا الصبى بعد ؟ »

قالت (جوتسنا) وهى حريصة كدأبها على أن تتبع
(عبير) بخطوتين :

- « لا تقلقى عليه يا آنسة .. إنهم يظهرون
دائماً .. »

- « من هم ؟ »

- « المختلفون .. دائماً يعودون لكن بعد زمن .. »
لم تفهم (عبير) حرفاً لهذا أثرت ألا تسأل أكثر ..
صوت نعيق بومة يتردد فى الأجواء ..
هووووووووه !

قالت (سوازن) فى مرح :

- « إنما هذا نحن أيتها البومة ! »

كانت دعابة إنجليزية سمجة .. فالإنجليز يعتقدون
أن البومة تتساءل (Who ?) (من ؟) مثلما نعتقد
نحن أن الخراف تطلب الماء .. لهذا لم يضحك أحد
واحمرت أذناها خجلاً إذ شعرت بسخفها ..
هووووووووووه !

صوت بومة آخر يجاوب من جهة أخرى ..

- « هذا غريب .. لم أظن أن الهند تحوى كل هذا

البوم .. »

- « جى بوهوأتى !! » (*)

دوى الصوت من مكان ما من الغرب ..
لم يكن صوت واحد ولا اثنان ولا ثلاثة .. بل هو
صوت جماعى عاتٍ له ألف لسان وألف حنجرة ..
لهذا كان طبيعياً أن تجفل (سوازن) وأن تثب
(عبير) مترين فى الهواء .. وحين هبطت كان أول
ما قالته للخادمة هو :

- « ماذا يحدث ؟ »

لكن الخادمة كانت فى أسوأ حال .. كانت ترتجف
كورقة وقد شحب وجهها فصار بلون القمر ذاته ..
وحين استطاعت أن تتمالك روعها أخيراً قالت وهى
تقبض بمخالبها على معصم (عبير) :

- « إتهم داتون ! داتوووون ! »

- « من هم ؟ »

ارتجفت (جوتسنا) وفتحت فاهها لتفسر .. لكن
قلبها الواهن تولى عنها للأسف .. وهوت كزكية
القمح على الأرض ..

(*) تعيش (بوهوأتى) باللغة الأوردية ..

أحننت (سوازن) تجس عنق الفتاة فوجدتها حية
لحسن الحظ ، لكنها فاقدة الرشد ..

- « لقد فقدت الوعي .. يا لها من بلهاء ! »

في توجس غمغمت (عبير) وهي تتشمم الهواء
حولها :

- « ربما هي تملك سبباً قوياً لهذا .. إبنى لا أحب
هذا الجو .. »

ومن جديد يدوى الصباح :

- « جى بوهواتى !! »

قالت (سوازن) وهي تشير نحو الغرب :

- « إن الصوت قادم من هنا .. »

- ثم نظرت إلى الفتاة فاقدة الوعي وغمغمت
وعيناها تشتعلان حماساً :

- « إن مكروها لن يصيبها .. لم لا نذهب لنرى
ما هناك ؟ »

قالت (عبير) وهي تحاول ألا تبدو جبانة أكثر من
اللازم :

- « ألا تعلمين أن »

★ ★ ★

الفضول قتل القط .. كلهم قالوا هذا ...



- « .. القط ؟ »

كان صدر (سوارن) يعلو ويهبط .. وجمرتان من
الحماس اشتعلتا على خديها :

- « نحن لسنا قطتين .. إن الأمر يستأهل الفهم .. »
وراحت ترحف ببطء و (عبير) خلفها متجهة نحو
مصدر الصياح .. كان ضوء القمر يسمح بعدم التعثر ..
لكنهما كانتا تسيران في أرض وعرة حقاً وكان هناك
منحدر صخري يهبط لأسفل ..

عسير هو الهبوط بهذه الثياب المتأنقة .. إن
التنورات تشبك بالصخور فيكون أمامك خياران :
تمزيق التنورة أو تحطيم العنق ..

الأكثر إبهاجاً هو مجموعة من الخرائب تبدو في
الأفق .. في ضوء القمر .. كأنها نذير بألعت كارثة
يمكن أن تصيب كائنات حياً ..

إن كل هذا لا يروق لـ (عبير) ..

لكنها مدفوعة بالحماس تواصل اقتفاء خطوات
صاحبتها ..

« إن بطولات التاريخ قام بها أشخاص خشوا أن
يبدوا جبناء أمام الآخرين .. » من قائل هذه الجملة ؟
غالبًا هو الشيخ (رفعت إسماعيل) في إحدى قصصه ..
إنه يتمتع برأى صائب حقًا ..

سألت (سوزن) :

- « هل الصوت حقًا أتى من هذه الخرائب ؟ »

قالت (سوزن) وهي تلهث :

- « حتمًا .. يوجد حشد من المتحمسين في هذا

المكان »

- « وماذا يفعلون هنا ؟ »

- « يا له من سؤال .. يتحمسون طبعًا ! »

- « لأي شيء ؟ »

قالت (سوزن) في سأم وهي تواصل التقدم :

- « صدقيني لو كنت أعرف لعدت لغرفتي ونمت

قريرة العين .. »

قالت (عبير) في توجس :

- « أنا لا أحب هذا .. لا تنسى أن

★ ★ ★

الفضول قتل القط .. جميعنا يعرف هذه الحقيقة ..

★ ★ ★

- « ... القُط ... »

- « هراء .. دعينا من قططك هذه وتعالى ندن ..
فى صمت .. إن الصمت يحتاج إلى ترك الحديث عن
القطط الفضولية قليلاً .. »

كان هناك دخان يتصاعد من موضع وسط الخرائب ..
وراحت الفتاتان الإنجليزيتان تتسللان كقططتين
فضوليتين ، وقد صار تبين موضع قدميهما مستحيلًا ..
كانتا حذرتين كالقطط .. مشدودتين .. إلى حد أن
صرخة (سوزان) الحادة القصيرة جعلت (عبير)
تثب للوراء مترين وأحسّت أنها - حقًا - كورت
ظهرها وأبرزت أنيابها ومخالبها ..

- « لقد لدغنى ! »

قالتها (سوزان) فى هستيريا وهى تفترش الأرض
كاشفة عن ساقها ..

- « يا للمصيبة ! ما هو ؟ »

- « شعبان طبعًا يا حمقاء .. وقد زحف بعيدًا على
الفور .. هذه هى لعنة السير فى الخرائب .. هناك فى
كل موضع فأر أو عقرب أو شعبان ينتظر أن »
وراحت ترتجف ..

كانت (عبير) تعرف ما ينبغي عمله جيداً فقد رآته
فى أفلام سينمائية كثيرة .. لهذا راحت تبحث فى
شعرها عن دبوس .. واتحنت لتشرط موضع أسنان
الثعبان على ساق صديقتها (وهذا خطأ جسيم علمته
السينما للناس) .. ثم ألصقت شفتيها بالجرح وراحت
تمتص الدماء وتبصقها (خطأ جسيم آخر) .. وقد
ذكرها طعمها الصديء المميز بمغامرتها القديمة فى
(والأشياء) .. بعد هذا فكت حزامها وربطت ساق
الفتاة به لتمنع صعود السم إلى القلب (وهذا هو
الشئ الوحيد الصائب فى كل هذا الهراء) ..

- « هل يمكنك السير عليها ؟ »

- « أعتقد ذلك ... »

- « إذن لنعد .. إن طبيب الحامية يجب أن يرى

جرحك .. »

وهنا سمعت صوت البومة يتردد من جديد ..

وعلى الفور ترددت الصيحة التى صارت مملة :

- « جى بوهواتى ! »

قالت (سوزان) وهى تحاول تحريك ساقها برغم

ما فيها من خدر وألم :

- « هل هم مجموعة من عبدة اليوم ؟ »

- « كل شيء جائز في الهند .. »

- « هيا نعد قبل أن يجدونا .. »

وتحاملت لتستند إلى كتف (عبير) .. وكلاهما
تفكر في كيفية العودة واتجاهها .. لقد كان الأمر
عسيراً وهما بكامل لياقتهما فكيف تتمكنان من اجتياز
كل هذه الصخور الوعرة الآن ؟
لم تطل حيرتهما لأنهما رأيا من يسد عليهما
الطريق ..

كان يلوح بعصا في يده



٥ - المـلتقى ..

و (عبير) تواصل الفرار جامعة تتورتها الطويلة
بمعجم قبضتها كي تتلافى العثرات .. وألم حاد يمزق
صدرها من فرط الجوع إلى الهواء ..
لكنها لا تجد وقتاً كافياً كي تدلل رنتيها إلى هذا
الحد ..

إنهم وراءها .. بالحق وراءها ..
وهم يجيدون الركض إجادتهم للقتل .. ويفكرون
مثلاً يحقدون .. بإصرار وصبر وأناة
لكن عقلها المنهك لا يكف عن استعادة الأحداث
التي قادت بها إلى ما هي فيه الآن ..

★ ★ ★

مثلاً لم تنس الذعر الذي أصابها حين رأت
و (سوزان) ذلك الظل الملوح بعصاه يسدّ عليهما
طريق العودة ..

شهقت (سوزان) واستندت بظهرها إلى جدار

متهدم لمعبد قديم .. أما (عبير) فاتخذت وضع فقال
ياباتياً من الذى تعلمته من مغامرتها مع (جيمس
بوند) .. واستعدت كى تركل المهاجم فى عظمة ساقه
لو كان يملك واحدة ..

لكن الشبح تكلم .. وكان صوته صوت أنثى :
- « لا تخشياً شيئاً أيتها الأنستان .. أنا (جوتسنا) ! »
لقد أفاقت الحمقاء من إغماءتها إذن ! وتنهدت
الفتاتان الصعداء واسترخت (عبير) قليلاً ..
قالت (جوتسنا) معاتبة :

- « تركتماى فاقدة الوعي .. »
- « إنما أردنا أن نعرف سر إغشائك .. »
ثم إن (عبير) أشارت إلى ساق (سوزان)
وأردفت هامسة :

- « لقد لدغها ثعبان .. إنه لمأرق مخيف ..
وعلىنا أن نعود سريعاً ليراها طبيب الحملة .. »
قالت (جوتسنا) وهى تركع على ساق واحدة
لتنفقد الجرح :

- « لا وجود للثعابين هنا .. لكن توجد أفاع .. »
- « يا سلام .. فارق كبير حقاً .. »



شهقت (سوزان) واستندت بظهرها إلى جدار متهدم قديم .. أما (عبير)
فاتخذت وضع قتال يابانياً من الذي تعلمته من مغامراتها مع (جيمس بوند).

- « بالفعل .. لكن لدغة الأفعى تحدث نزفاً شديداً
وتورماً في مكانها .. وهذا ليس الحال هنا .. أعنى
أن الأفعى لم تحقق سمها .. »
وفي ثقة فكت الحزام المحيط بساق (سوزان) ..
وعلى الفور بدت علامات الارتياح والخلاص على هذه
الأخيرة ..

قالت (عبير) فى توجس :
- « أمل ألا تنقاد وراء سعة علمك هذه ، ثم نفاجأ
بـ (سوزان) تقول لنا كلمة وداع وتموت ! »
- « هذا مستحيل يا آنسة .. » - قالت الخادمة فى
ثقة :

- « .. إن الهنود يعرفون عن الأفاعى قدر ما يعرفه
المصريون عن التماسيح ! »
- « هذا يطمئننى حقاً ! »

وخطر لـ (عبير) أن العالم كله يظن التماسيح
تملاً النيل .. فلا يتصور أحد أنها لم تر تمساحاً فى
حياتها إلا على شاشة التلفزيون ..

تساءلت (سوزان) وهى تستريح فوق إحدى الصخور :
- « لم نعرف بعد سبب فقدانك لوعيك يا (جوتسنا) .. »

قالت الخادمة وقد زایلها قناع الثقة .. وراحت
ترتجف :

- « حين سمعت (جى بوهوانى) .. عرفت أنهم
قريبون .. وأن الليلة ليلتهم .. وكان هذا أقوى
منى .. »

- « من هم .. ؟ »

- « لا وقت للشرح .. هلما نعد إلى الدار حالا .. »
هنا أشارت (عبير) إلى الخرائب ..
كان الدخان يتصاعد من بينها إلى عنان السماء ..
أزرق كثيفا كنيبا .. كان هناك من يشعل النيران وسط
هذه الأطلال ..

والمسحورات دنت الفتيات الثلاث أكثر .. فأكثر ..
كن يزحفن على بطونهن الآن كالجنود فى الخنادق ..
وعرفن أنهم فوق بقايا سور قديم متهدم يطل على
ساحة واسعة .. يبدو أن هذه الساحة هى فناء معبد
قديم من معابد (كالا) أو (شيفا) .. لا تدرى
بالضبط .. إن الهند مفعمة بأوثان النساء على كل
حال .. وكلهن يملكن ستة أزرع ..

كان ضوء القمر يغمر الساحة بضوء أزرق غامض ،

كأنها إضاءة تسقط فوق مسرح رائع الجمال
والإخراج .. أو كضوء القمر حين كان يضيء دراما
إغريقية بارعة في (الكولوزيوم) ..

لكن الروعة والرغبة صنوان !

قشعريرة باردة بل ثلاث قشعريرات باردة زحفت
على الأعمدة الفقرية للفتيات الثلاث وهن يرمقن
المشهد المهيّب ..

كان هناك حشد من الهنود يلتفون حول هندي شيخ
شابت لحيته التي استطالت حتى غطت صدره ..

كان جالساً القرفصاء فوق ملاءة بيضاء ، بينما
أحد الهنود يتقدم منه زاحفاً على ركبتيه وقد حنى
ظهره .. في يده اليمنى منديل أبيض وفأس .. ويده
اليسرى مضمومة إلى صدره كأنما يقسم قسماً معيناً
لا يمكن الحث به (*) ..

يقول الهندي ذو اللحية كلاماً كثيراً لا أول له
ولا آخر باللغة الأوردية التي لا تفهم (عبير)
- وبالتالي نحن - حرفاً منها ..

(*) ما ذكر هنا عن الخناقين صحيح تماماً .. راجع كتاب
(مذاهب غريبة) للأستاذ (كامل زهيري) - كتب للجميع (١٢٩) .

- « راندرات بوهوانى .. جى رادهاه اى راه

راندرات مانهار ! »

فتميل (عبير) على أذن خادمتها تسألها هامة :

- « ما معنى كل حروف الراء هذه ؟ »

- « صه .. سأفسر لك كل شيء حين نبتعد »

- « صه !؟ »

قالتها (عبير) فى استنكار .. إن للعلم مكانة

اجتماعية حقيقية .. ولولا معرفة الخادمة باللغة لما

سمحت لها (عبير) أن تقول لها (صه !) هذه ..

لكن العلم - تلقائياً - أعاد الترتيب الطبقي لهذا الثالوث ،

بحيث صارت الخادمة هى الأفضل والأقوى شخصية ..

ولم يعد لدى (ملديد) و (سوزان) سوى أن

تخرسا ..

هووووووه !

صوت البومة يدوى من جديد ..

وكما توقعت (عبير) دوى صراخ الحشد للمرة

الألف تقريباً :

- « جى بوهوانى ! »

ولكنها الآن تسمع الصراخ عن كثب ، وترى

علامات البشر والسرور على الوجوه .. فتعرف
- يقينا - أن هؤلاء القوم على نقیض البشر جميعا
يتفعلون بصوت البومة !

رأت هذه المرة الشيخ ذا اللحية ينهى محاضرتَه
الطويلة ، فيتقدم الهندي الشاب الذي قررت أن تسميه
(الحالف) ليقسم أن يفعل شيئا ما ..

ثمة قطعة من سكر أحمر في يد الشيخ (متلقى
القسم) يناولها لتلميذه (الحالف) .. ثم يتناول قطعة
مماثلة يرميها في حفرة أرضية ..

وتتصاعد صيحات القوم .. إما أنه نوع من الدعاء
أو نوع من السباب .. فكلا العاملين يمارسان بذات
الحماس حين يتعلق الأمر بآلهة وثنية !

وعلى القوم تدور الكنوس .. كنوس هندية غريبة
الشكل يبدو من لونها أنها لا تحوى سوى الماء
القراح ..

أما آخر وأغرب ما يحدث فهو أن يخرج الرئيس أو
(متلقى القسم) حبلا من جعبته .. حبلا غليظا أثيق
الشكل يقدمه لـ (الحالف) الذي يتلقفه كأنما يتلقف
نفحة سماوية عذبة ..

ويسود المرح فيما عدا صيحات تتردد من بعض
المتحمسين الذين لا ينسون بسهولة :

- « جى بوهواتى ! »

هنا همست الخادمة للفتاتين المذهولتين كأرنبتين :
- « إن ما رأيناه مذهل .. ولا يراه المرء إلا مرة
فى حياته لو حالفه الحظ .. هلما نعد قبل أن يشعروا
بنا .. »

تساءلت (سوزان) فى حماس وصدرها يعلو
ويهبط :

- « هل .. هل هم خطرون ؟ »

قالت (عبير) محنقة :

- « لا يبدوون لى لطيفى المعشر كالأطفال .. إن
الطقوس الغامضة تعنى الشوم دائماً .. »
- « رائع !! »

كانت الشجاعة قد بدأت تفارق الخادمة من جديد ..
وعاودها زعرها الأبله السابق .. وكان تفسير ذلك
واضحاً .. لقد كان الفضول أقوى منها .. أقوى من
أى زعر أو توجس أو تطير ..
أما الآن فقد رأت ما يكفى ..

ولم تعد تريد سوى الفرار ..

★ ★ ★

لكن الأمور لا تسير بهذه السلاسة فى حياتنا ..
وإلا ما قتل الفضول القط كما يقول الجميع ..
الواقع أن الأمر بدأ كنوع من الهاجس العام وسط
الجمع .. ثم إن بعضهم راح يشير فى شك مستريب
نحو الأطلال ..

وبدأت أصوات الاحتجاج والحنق تتصاعد من
الحناجر ..

وازدادت الأصابع التى تشير فى اتجاه بطلاتنا
الثلاث ..

- « ويلى ! إتهم يشيرون نحونا ! »

قالتها (سوزان) وهى تتراجع للوراء دون أن
تبعد عينيها عن الجمع الذى بدأ يزداد ثورة .. كأنه
عش زنابير مددت يدك فيه ..

قالت الخادمة وهى تقف متصلبة وشفاتها ترتجفان :

- « إته ظلنا ! لقد رأوا ظلنا ! »

- « هذا حق .. إن القمر خلفنا .. وقد ارتسم ظلنا

واضحاً على أرض الساحة .. كيف لم نلاحظ هذا ؟ »

لأننا حمقاوات يا عزيزتي (سوزان) .. لأننا
حمقاوات ..

أجابتها (عبير) في سرّها لأنها لم تجد الوقت
الكافي لتحويل الأفكار إلى كلمات ..
إنهم قادمون ..

قادمون ولا ريب



٦ - إنهم يعرفون ..

الفرار .. الفرار !

تهرع الفتيات راكضات بين الخرائب ، وأثبات حيث
ينبغي السير .. سائرات حيث ينبغي الوثب ..
ثلاثة أراتب مذعورة افتحم الصياد خدرها .. أو
ثلاث هرات خائفة يعوى كلب الحى فى إثرها ..
ولم يعد هناك مجال للتعقل بل الذعر غير الممتطق ..
وراءهن يعوى طوفان البشر الحائق الغاضب ..
الذى دنسن مقدساته بشكل ما .. طوفان سيمزق
ويدوس ويذبح ..

تقول (سوزان) شيئاً ما عن عدم قدرة هؤلاء
القوم على إيذاء مواطنين من رعايا التاج ..
فترد عليها (عبير) لاهثة بأنها تتساءل عما إذا
كان هؤلاء القوم قد سمعوا عن التاج البريطانى
أصلاً ..

احترسى من هذه الصخرة يا (سوزان) !

شكرًا .. احترسى يا (ملريد) بدورك من هذا
الجدار .. إنه جزء من سور عال وراءه هاوية !
هل احترست ؟ لا ؟ يا للكارثة !
لقد كانت ساقاك أسرع من سمعك .. وكان سمعك
أسرع من تفكيرك .. للأسف !
هأنثى تسقطين وراء هذا السور صارخة ..
صرخاتك أعلى من صرخات هؤلاء القوم الفاضلين
الذين نجهل كل شيء عنهم .. و (سوزان) تتراجع
فى هلع لترمق الهاوية باحثة عن جثة صاحبته
المهشمة فى ضوء القمر .. فلا تجدها ..
أين هى ؟

ها هى ذى (ملريد) - أو (عبير) - تتعلق
بالحافة بكلتا يديها ، وهى تبحث جاهدة عن جذور
سحلية فى شجرة أجدادها كى تعينها الغريزة على
التشبث بمكانها ..

همست (سوزان) وهى ترمع على الحافة :
- « تشبثى جيدًا ! إبنى سوف .. »
سوف ماذا ؟ هى لا تعرف ما ينبغى عمله ..
أولاً ينبغى أن تثب عائدة إلى الناحية الأخرى من

الهاوية .. ثم تدلى بحبل إلى مستوى صاحبته .. ثم
تبدأ فى جذبها ..

طبعاً لا يوجد حبل .. ثم هى لا تملك - ولا (عبير)
تملك - القدرة على جذب حبل كهذا ..
إنه لمأزق .. مأزق بحق ..

الصخب يتعالى من الحشد الذى يبحث عن الفتيات
وسط هذه الخرائب ..

هووووووووه !

صوت البومة يدوى فى الأرجاء .. لكن واحداً من
القادمين لم يصح (جى بوهواتى) لأنهم كانوا
منهمكين فى الصراخ الغاضب ..

يدا (عبير) تنزلقان عن الحافة ببطء ..
(سوزان) تنظر وراءها ثم أمامها .. وتبكي فى
عجز ..

هووووووه !

صوت القوم يدنو أكثر .. سيبدءون بإلقاء (عبير)
ثم يفتكون بالفتاتين أو الفتيات الثلاث إذا ما كانوا قد
وجدوا (جوتسنا) لحسن حظهم ..

يدا (عبير) لم تعودا تتشبهان تقريبا بشيء ..

هنا اتخذت (سوزان) الحل الوحيد الذى وجدته
صائبًا .. الحل الجدير بأنسة من الإمبراطورية التى
لا تغرب عنها الشمس ..

أطلقت ساقىها للريح !

مهلاً ! لو أعدنا تأمل هذا القرار دون تعصب
لوجدناه معقولاً إلى حد ما .. إن (عبير) مقضى
عليها .. فما جدوى الموت معها ؟! ولو كان البقاء
جوارها يفيدها لجاز لنا الحكم على هذا التصرف
أخلاقياً .. لكن ما من قوة يمكنها إنقاذ (عبير) ..
ولربما كان من الصواب أن نحفظ روحاً إنجليزية
مادمننا عجزنا عن إنقاذ روحين .. تفكير عملى
صائب .. وبتفكير كهذا استطاعت إنجلترا أن تحكم
نصف العالم فى يوم من تلك الأيام ..

نعود لـ (عبير) المعلقة فى وضعها اليأس ..

لا جدوى من المحاولة ..

لا جدوى من الأمل ..

هووووووه !

هنا نتحدث عن تقنية فنية رديئة نوعاً ، ينوى
المؤلف أن يستعملها هنا للأسف لأنه لا يوجد سواها :

تقنية (إله من الآلة) التي تعلمناها من المسرح
اليوناني القديم (*) ..

إن المقام لا يناسب شرحها بالتفصيل .. لكنها
قائمة على إيجاد الحل للمعضلة فجأة وبلا تمهيد له ..
وللمولعين بالمصطلحات نقول إن الرواة يسمون هذه
الطريقة (طريقة المظلة تحت المقعد) .. ويسميها
السينمائيون (أسلوب جريفت في الإنقاذ على آخر
لحظة) ..

لهذا .. اسمحوا لي أن أقحم يدين قويتين في
المشهد ..

نعم .. يدان قويتان أمسكتا بمعصمى (عبير) في
اللحظة الأخيرة .. وشعرت بأنها ترتفع لأعلى ببطء ثم
تهبط على الحافة سالمة ..

وحين استجمعت أنفاسها اللاهثة في ضوء القمر
وجدت أنها ترمق وجهاً مألوفاً .. وجهاً رآته بوضوح
منذ أيام ...

(*) الإله من الآلة : كان من دأب المؤلفين اليونانيين القدامى
حين تتفقد أحداث المسرحية ويصعب إيجاد حل لها ، أن يضعوا
ممثلاً في سلة متحركة آلية يهبط من السماء ليحل عقدة المسرحية
كأنه إله .. والتعبير يعنى (الحل المتصنف للعقدة) ..

إنه (قمست) ...

المشعوذ الذى بهرنا بألعاب الحبل فى السوق ...
لقد أنقذها ..



عيناه السوداءوان بارعتا الجمال تلتمعان فى ضوء
القمر البارد .. لكن لا علامة على الرقة أو الهزل فى
وجهه .. وجه جاد خطر .. يقول لها وهو يتلفت
حوله متوترًا :

- « هلمى ! اختفى ! »

تقول له وهى تحاول الوقوف على قدمين رخوتين :

- « لكن .. من هؤلاء ومن أنت ؟ »

من جديد يهتف فيها بذلك الصوت الهامس الصارخ
الغريب :

- « لا وقت للشرح .. أنت لم ترينى سأعتمد على
وعد شرف منك أن تغفلى ذكرى من أى سرد للقصة ..
هيا ! »

وتطلق (عبير) ساقىها للريح ..

فى أى اتجاه بالضبط ؟ إلى أين ؟

إنها قد ضلت الطريق ..

لكنها تسمع صفير (قمست) الهامس (غريب أمر
هذا الهمس الذى يسمعه الجميع) .. وتراه مدثراً
بالظلام يشير إلى اتجاه ما :

- « وس س س س ! من هنا ! »

من جديد يعادو إنقاذها ..

لكن لا وقت لتوجيه عبارات الشكر له على كل
حال ..

تنطلق (عبير) سابقة ظلها على الأرض ، وتتعثّر
مراراً وتسقط مراراً فى حفر لا نهاية لها .. وبقايا
تمائيل ..

إن إمبراطورية المغول فى الهند لم تكف عن نثر
آثارها فى طريق الهرب الخاص بها ..

لكنها الآن تشعر بالأمان .. وتشعر أنها تمشى فى
قطاع مألوف من (دلهى) .. هذه الشوارع القذرة
الضيقة .. والأوحال .. وحتى لدغات البعوض التى
ألفتها .. كلها أشياء تشعرها أنها قد عادت إلى
عالمها الذى تعرفه حقاً ..

كانت فى حالة مزرية من القذارة والذعر والتبعثر
حين وصلت إلى مسكن المعلمات .. وهناك كانت



تنطلق (عبير) سابقة ظلها على الأرض ، وتتعثّر مرارًا وتسقط
مرارًا في حفر لا نهاية لها .. وبقايا تماثيل ..

(سوزان) والخادمة جالستين فى الضوء المتراقص لمصباح ، وهما لا تقلان سوء حال ولا تشعثا عنها .
وكانت (سوزان) قد كشفت الثوب عن ساقها الملدوغة ، وأراحتها على مقعد أمامها على حين راحت (جوتسنا) تغسل الجرح بالماء والصابون ..
فما إن رأت (سوزان) صاحبته حتى هتفت فى لهفة :

- « شكرًا للسماء ! أنت بخير يا (ملريد) ! »
قالت (عبير) وهى تجر جر جسدها المنهك إلى الأريكة :
- « نعم .. لسوء الحظ .. كى لا أخفى رأيى فيك ! »
- « أوه ! لو كنت مكاتى لفعلت ذات الشيء .. إن موتى معك ما كان ليفيد التاج فى شيء .. »
ثم استرخت من جديد فى جلستها وتساءلت :
- « لكن كيف نجوت ؟ لقد بدا لى الموقف منتهيًا .. »
- « نعم .. كنهاية الفيلم السينمائى حين يغادر الناس القاعة قبل ظهور كلمة (النهاية) .. »
- « عم تتحدثين ؟ (سينمائى) ماذا ؟ »
هزت (عبير) رأسها وهى تطوح بحذائيه فى ركنى الغرفة :

- « لا عليك .. إننى أهرف بمالا أعلم .. »
من الصعب إفهامها معنى (فيلم سينمائى) قبل
اختراعه بقرن أو أكثر .. المهم الآن أن نفهم مغزى
هذا الذى رأيناه

عاودت (سوزان) السؤال فى إلحاح ممل :
- « كيف نحوت ؟ »

- « أوه .. لقد أقسمت أن ألزم الصمت ولا أنوى
الحنث بذلك .. والآن أريد منك شرحاً تفصيلياً وافياً
أى (جوتسنا) الوفية .. من هؤلاء ؟ وهل كانوا
يريدون إيذاءنا حقاً ؟ »

هنا تدخلت (سوزان) طالبة المزيد من الإجابات :
- « وماذا كانوا يقولون ؟ »

بدا التردد على (جوتسنا) ..

وأدركت الفتاتان أن خوف الهندية من الكلام يفوق
الخوف العادى .. حتى غدا نوعاً من التطير يقدو معه
الحديث - مجرد الحديث - مكروهاً .. كما كان
الأوربيون يسمون الدرن باسم (المرض ذو الاسم
الكريه) .. ونسمى نحن السرطان (المرض الذى
لا يسمى) ..

- « حاولي أن توضحي يا (جوتسنا) .. فنحن في
الظلام .. »

قالت (جوتسنا) بصوت كالفحيح وهي تحقق في
لهب الفانوس المتراقص :

- « إن ما سأحدث عنه هو الظلام ذاته ! »
وبدأت تتكلم بصوتها الرتيب الهادئ ...
وكان ما قالت غريباً



٧ - الخناقون ..

(عبير) لم تكف عن الركض ..
ولم تكف عن استعادة شريط الأحداث المروّع الذى
قادها إلى هذه اللحظة .. وهى راغبة حقاً فى معرفة
عدد من يقتفون أثرها لكنها لا تجرؤ على النظر
للوراء .. إنها أذكى من ذلك ..
إن من ينظرون للوراء فى أثناء مطاردتهم يتعثرون
دوماً .. يتعثرون أو يتلبسهم الهلع الحيوانى الذى
يشل قواهم ..

وفى سرها تساءلت : متى ينتهى هذا الكابوس ؟
متى تفلت من قبضة الـ

★ ★ ★

- « الخناقون ! »

قالتها (جوتسنا) بلهجة من يقرر حقيقة لا جدال
حولها ..

تساءلت الفتاتان فى حيرة عن مغزى الكلمة :

- « الخناقون ؟ »

- « نعم الذين يخنقون الناس .. »

- « وهل هذه مهنة أو هواية تميز قطاعاً من

البشر ؟ »

- « نعم .. إن الخناق الذى يحترم نفسه يخنق فى

العادة حوالى مائة رجل طيلة حياته ! »

- « فهمت .. وهل يفعل هذا ليشعر بالسرور ؟ »

- لا .. إنه مذهب دينى مذهب خاص بالهند ..

وفى صبر راحت (جوتسنا) تحكى للفتاتين

الإنجليزيتين المبهورتين كل شىء عن هذه الحقيقة

التي يعرفها كل هندي ..

(الخناقون) - قالت - هم طائفة دينية تمارس

عقائدها سرّاً .. وإن كان الناس جميعاً يعرفون أمرها ..

تقول الأسطورة الهندية الوثنية إن الحياة تنازعها

إلهان .. واحد مسئول عن الحياة واسمه (فشنو) ..

وواحد مسئول عن الدمار اسمه (سيوا) .. وهما

- على ما يبدو - مماثلان لـ (أوزيريس) و (ست)

عندنا نحن المصريين ..

كاد الأخ (فشنو) يقهر خصمه (سيوا) لولا أن

تدخلت مدام (سيوا) الشهيرة لدى الهنود باسم
(كالى) ..

قامت السيدة الفاضلة بالهبوط إلى الأرض ،
وصنعت لنفسها صنمًا ثم أوصت من يعبدون هذا
الصنم بأن ينتشروا فى الأرض ويخنقوا كل من
يقابلونه !

جدير بالذكر أن (كالى) هى نفسها (بوهواتى)
كما يدلها الخناقون من عبديها .. وجدير بالذكر كذلك
أن هذا الصنم لـ (كالى) موجود اليوم فى (دلهى) ..
فى المتحف .. بالطبع لم تقل (جوتسنا) هذا لكننا
نذكره للمهتمين بهذا الكلام الفارغ ..

لماذا نخلق الناس ؟

يؤمن الخناقون أن الحياة شقاء وشر .. وأن
الموت هو الباب الملكى إلى السعادة السرمدية ..
والخلق له مزية مهمة هى عدم إسالة الذماء ..
فمشكلة الذبح والطعن هى أنهما يتركان الضحية
غارقة فى بركة من السائل الأحمر .. وهذا يجعل
عودتها - الضحية - إلى الحياة حتمية .. مما ينتفى
معه الهدف الجليل من الخلق أساسًا ..

والخناقون قوم يؤمنون بالتطير .. لهذا يتفاءلون
عند سماع صوت اليوم - كما حدث في ليلتنا هذه -
ويتشائمون من صوت بنات أوى .. وهم على عكس
العرب في الجاهلية يتفاءلون إذا طار الطائر إلى
اليسار باعتباره (طيرًا سائحًا) ..

ولما كانت (كالى) معبودتهم أنثى فهم يعفون
النساء من الخنق .. ويعفون - لأسباب معقدة في
أذهانهم - بعض الطوائف من الخنق مثل الشحاذين
والفسالين والموسيقيين وبائعى الزيت والحدادين
ومرضى البرص ..

- « لهذا يميل الهنود في (دلهى) .. » - تقول
(جوتسنا) - « .. إلى ممارسة هذه المهن أكثر من
سواها .. لأنها تعطيهم حصانة ضد الخنق .. »
قالت (عبير) وعيناها تلتمعان بالانبهار :
- « إذن لن يجد الخناقون من يخنقونه .. »
قالت (جوتسنا) في نبرة هادئة :

- « لكن هذا يحرم الناس من وجود طبيب أو
جندى أو تاجر .. لا يمكن أن تقوم مدينة على أكتاف
الشحاذين وبائعى الزيت وحدهم .. »

- « فهمت .. أكملنى ... »

قالت (جوتسنا) وضوء المصباح المتراقص
يكسب ملامحها سحرًا لم يكن هنالك وقت الصباح :
- « بقى أن أقول يا آنستى إنا دنونا - بطريق
الخطأ - من اجتماع مهم لهم .. اجتماع يتم تنصيب
عضو جديد فيه .. »

تتأعبت (سوزان) فقد انتهى الهزيع الثانى من
الليل وسألت وهى تتخذ وضعا على الأريكة هو للنوم
أقرب :

- « حسن .. ماذا كان ذلك الشيخ يقوله
بالأوردية ؟ »

قالت (جوتسنا) :

- « كان يوصى المريد الجديد بأن يخلق الناس ..
وآلا يذبحهم .. ثم كان يطلب علامات الرضا من
(بوهوانى) .. »

- « أى صوت صياح البومة ؟ »

- « نعم .. إن هذا يدل على أن (بوهوانى) قد
قبلت العضو الجديد .. بعد هذا أقسم العضو الجديد
نفسه على أن يمنح حياته كلها من أجل (بوهوانى) .. »

ومنحه الرئيس حبلاً مبللاً بالزيت والماء المقدس كي
يبدأ ممارسة الخلق ! »

- « حبلى بالزيت ؟ ليس أى حبلى صالحاً إذن ؟ »

- « إن التقاليد هى ما يجعل الحياة محترمة .. »

استندت (عبير) بخدها على قبضتها وتساءلت :

- « إذن هى المرة الأولى التى ترين فيها هذه

الطقوس ؟ »

- « حتماً .. إن أحداً لم يظل حياً بعد مشاهدتها إلا

من هو عضو فى الجماعة .. أنا أعرف أنهم

يجتمعون غرباً فى مكان ما وسط تلك الخرائب .. لكن

هندياً لا يجرؤ على الذهاب إلى هناك مهما بلغ به

الفضول .. »

تساءلت (عبير) من جديد :

- « لكن الخطر لم يتهددنا بالتأكيد .. »

- « لا أدري ما يجعلك واثقة من هذا .. »

- « ألسنا نساء ؟ قلت إنهم لا يقتلون النساء .. »

ابتسمت الخادمة فى مودة .. وقالت :

- « نعم .. لا يقتلونهم خنقاً ! وعلى كل حال لقد

كان تدنيسنا لمقدساتهم سبباً كافياً كي يخرقوا هذه

العادة .. وإبنى لمسرورة حقًا لأننا أحياء فى هذه
اللحظة .. »

عادت (سوزان) ترمق (عبير) فى شك ..
وكررت سؤالها :

- « ألن تخبرينى كيف نجوت ؟ »

- « هذا سؤال أرجو إعفائى من إجابته .. »

هنا قاطعتهما (جوتسنا) فى حماس وقد تذكرت
شيئًا :

- « إن أعضاء هذه الجماعة بيننا .. وسطنا ..

لكنهم يبدون كالأخرين ويمارسون حياة عادية إلى أن

يجد أحدهم الفرصة سائحة كى يخلق ضحية أخرى ..

يقال إنهم ألف فى (دلهى) .. وآلاف فى (حيدر

آباد) .. منهم المعلمون والأطباء ورجال الشرطة

و »

قالت (عبير) شاردة الذهن وهى تتأمل اللهب :

- « والمشعوذون فى الأسواق ! »

- « أحقًا ؟ هل تعرفت أحدًا ؟ »

- « كلا .. كنت أضرب مثلًا لا أكثر »

ثم رفعت عينيها المذعورتين إلى (جوتسنا)
وسألتها ضاغطة على كل حرف من حروف
سؤالها :

- « والآن ما رأيك ؟ هل سيجدوننا ؟! »

.....

★ ★ ★

٨ - خُطَر ..

لا .. لا أعتقد ذلك ..

إن احتمال أن يكون الخناقون قد تعرفونا - دعك من أن يجدونا - هو احتمال شبه معدوم .. لقد كان الظلام دامسًا والمسافة بعيدة وهروبنا سريعًا .. هم رأوا ثلاث فتيات منهن اثنتان أوروبيتان .. فكم إنجليزية في (دلهي) اليوم حتى يعرفوا شخصياتنا ؟ قالت (عبير) وهي غير مرتاحة لهذا التسطيح : - « لكنني و (سوزان) معلمتان .. وشهيرتان إلى حد ما .. أنا لا أمشي في شارع إلا وألقى ثلاثة أو أربعة من تلاميذي .. »

قالت (جوتسنا) في ثقة :

- « الإنجليزيات يتشابهن لدى الهنود .. كلهن يرتدين ثوبًا طويلًا وقبعة وكلهن شقراوات الشعر ثقيلات الظل ! »

لم تجد (عبير) وقتًا للإجابة على هذه الإهانة ..

ولم تجد حافظاً كافياً ؛ لأنها لا تعتبر نفسها إنجليزية
حقاً لهذا سألت سؤالاً جديداً :

- « هل تبلغ السلطات الإنجليزية بما حدث ؟ »
- « الاختيار لكما .. لكنى أؤكد لك يا آنسة أن
الإنجليز يعلمون كل شيء .. وهم يؤثرون الابتعاد عن
الأمر كله باعتباره مجلبة للمتاعب لا أكثر .. لن
يهتموا بالموضوع إلا يوم يموت أول جندي بريطاني ..
عندها ستقوم الدنيا ولن تقعد حتى يتم إعدام آخر
خناق رمياً بالرصاص فى ميدان (ممتاز آباد) .. »
- وبعد تردد أضافت :

- « ثم إن الكلام سيجلب علينا انتقام الجماعة .. »
- « إذن نخرس ؟ »

فى أدب أمنت (جوتسنا) على كلامها :

- « نعم يا سيدتى .. نخرس إذا سمحت لى .. »
هنا تدخلت (سوزان) وقد تذكرت شيئاً :
- « إن لهذه الجماعة دوراً فى اختفاء ذلك الصبى
الهندى .. لقد نسيت اسمه .. »

- « (سابور) .. إن الخناقين لا يقتلون الأطفال ..
لكنهم يخطفونهم ويعلمونهم كيف يكونون مثلهم ! »

كان لون الفجر الوردي قد بدأ يتسرب من وراء الستائر وانصرف البعوض ليهجع ويهضم كل ما في أحشائه من الملاريا وداء الفيل ..

تثاءبت (سوزان) حتى بدا وجهها كوجه فرس نهر يغفو عند منابع النيل .. وقالت وهي تحاول النهوض :

- « لا جدوى من محاولة النوم .. إن يومًا دارسيًا شاقًا ينتظرنا ! »

- « هذا غير رحيم ! »

لكن التذمر لا يجدى ..

إن الأعذار هي آخر ما يمكن أن يقال لمستر (إيمرسون) ..

★ ★ ★

وهكذا ...

راحت (عبير) تحكى للأطفال الهنود حكاية إنجليزية طويلة عن عظمة (بريطانیا) .. ومجد (بريطانیا) .. ونبل (بريطانیا) ..

كان النعاس والإرهاق يقتلها ، وأضاف سخف الكلام إلى تعاستها تعاسة توشك أن تتحول إلى غثيان صريح

كان هذا حين طرق الباب .. فصاحت في حزم :

- « ادخل ! »

كان الطارق صبياً هندية رقيقاً عارى الجذع إلا من منزر صغير ، وعلى رأسه عمامة عالية .. تقدم منها في ثقة وناولها قصاصة من الورق ثم رحل قبل أن تفهم المزيد منه ..

في توجس فتحت القصاصة .. بالتأكيد يوجد بها ما يتعلق بمغامرة البارحة .. هذا حدسها .. وقد تعلمت منذ زمن أن تعامل حدسها معاملة اليقين .. كانت الكلمات مسطرة بحروف لاتينية ساذجة كأنها بخط تلميذ من تلاميذها .. لكنها مقروءة :

- « خذى الحذر .. إنهم يعرفون .. »

ثم بخط أكثر رداءة عبارة لم تجد لها في البداية معنى :

- « رَجَمْتُكَ ! »

وتحت العبارة وضع الكاتب عدة خطوط ليدل على أهميتها .. استنتجت - دون وعي - أنه كتب لفظة حزام belt مستعملاً حرف الباء الثقيل Pelt بمعنى (رجمة) ..



كان الطارق صبياً هندياً رقيقاً عارى الجذع إلا من منزر صغير ، وعلى رأسه عمامة عالية ..

هذا خطأ لا يقع فيه إنجليزي .. لكن المصريين
- والهنود طبقاً - وسواهم يرتكبونه كثيراً ... إذن
كاتب الخطاب هندي ..

ما معنى هذا الكلام عن الحزام ؟

هل هناك حزام فى الموضوع ؟

هل ؟

★ ★ ★

وفى ثقة فكت الحزام المحيط بساق (سوزان) ..
وعلى الفور بدت علامات الارتياح والخلاص على هذه
الأخيرة ..

★ ★ ★

نعم .. إنها تتذكر الآن ..

الحزام الذى نسيته وسط الخراب فى تلك الليلة
الرهيبية ..

لقد كان الحزام أنيقاً ومميزاً جداً .. إن أى حزام
يحمل حرفى (م . هـ) - وهما أول حرفين فى اسمها -
لهو حزام مميز جداً .

بقليل من الجهد يمكن معرفة الإنجليزية التى يبدأ
اسمها بحرف (ميم) .. ويمكن معرفة أية فتاتين من

نساء الحامية البريطانية لم تبيتا في المسكن البارحة ..
كل هذا سهل ...

ويتحول المشهد .. الصف .. وجوه التلاميذ إلى
صورة رقراقة كانعكاس وجوهنا في نهر ألقى فيه
حجر ثقيل ..

معنى هذا أن الخطر دأن حقا .. وأن هؤلاء الوثنيين
- عبدة (كالي) - قادرون على الوصول إليها
وفي رعب غمغت :

- « (دى - جى - ٢) .. أنا لا أحب هذه المغامرة
كثيرا .. لم لا ننتهيها الآن ؟ أنا أعرف أن مغادرة
القاعة في أثناء العرض مستحيلة .. لكننى أطلب
استثناءً واحداً .. »

لكن (دى - جى - ٢) لم يكن ممن يتهادنون .

★ ★ ★

هرعت (عبير) إلى مكتب المستر (إيمرسون) ..
طرقت الباب ودخلت قبل أن تدعى إلى الدخول ..
وكان الرجل واقفاً وظهره إلى الباب يرمى الخريطة
العملقة على الجدار .. وغليونه في يده لا يمسه
كالعادة

وحيث تنحنحت في كياسة .. همهم هو في وقار
دون أن يستدير ..

فقالت :

- « ثمة ما أريد إبلاغك به يا سيدى .. »
- « ليس الوقت ملائماً يا مس (هولرويد) .. فأنا ..
أتأمل .. »

- « إنه لأمر عاجل يستأهل مناقشته فوراً .. »
وهكذا راحت (عبير) تحكى ما حدث للرجل ..
لم يقاطعها لكنه - مرة أو مرتين - جرد عينيه
الزرقاوين النفاذتين من غمدهما ليتأملها باهتمام .. ثم
أعادهما إلى ماتحت حاجبيه الكثين .. وحيث فرغت
من الكلام كان أول ما قال هو :

- « حماقة ! »

وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً فى عصبية ..
مردداً :

- « حماقة ! »

وتوقف ليشتعل غليونه قائلاً بصوت رصين :

- « أنت وصاحبك .. قلت لى ما اسمها ؟ »

- « (سوزان) .. أ .. مس (أونيل) .. »

- « مس (أونيل) هذه .. لقد قارفتما جريمة التدخل فى معتقدات الوطنيين الدينية .. وهذا هو أول خطأ ينبغى على الإمبرياليين ألا يرتكبوه .. »
- « لكنها لم تكن مقصودة يا سيدى .. »

- « النتيجة واحدة وهى جرح الشعور الوطنى .. وهذا يجعل أبناء المستعمرات يجنون حقاً ويفعلون أى شئ .. لقد تعلم جنودنا منذ زمن معنى ذبح بقرة فى حى هندوسى .. أو إطلاق الرصاص على جدران مسجد فى حى إسلامى .. لا بد من شعب يتبع هذا الخطأ .. »
- « لكن الخناقين ليسوا ديناً وطنياً .. إنهم أقرب إلى عصابة من السفاحين .. »

- « إن عش الدبابير يجب أن يترك وشأنه .. »
ثم غمغم وهو يعاود إشعال غليونيه :

- « سارى ما يمكن عمله مع الجنرال (كينزبورو) .. سأؤكد من أن حماية خاصة لكما قد تم ترتيبها : تأملت (عبير) الغليون فى دهشة .. إنها لا تفهم بعد كيف يدخل الناس الغلايين .. فهم لا تراهم إلا فى محاولات لا تنتهى لإشعالها أو تنظيفها .. ولم تر أحداً يدخلها حتى هذه اللحظة .. »

لكنها لم تتعاد فى هذه الخواطر لأنها عرفت أن
المقابلة قد انتهت .. وأن الرجل عاد يمارس أحلامه
الاستعمارية أمام الخريطة ..

كان الظهر قد ولى حين عادت إلى حجرتها ، وكان
الحر خائفاً كما هى العادة .. هذا الحر الهندى
الغريب .. حين تشعر بأنك تحولت إلى كتلة من الهلام
الساخن اللزج المثير للاشمئزاز ..

جرعت عدة أكواب من الماء الذى غلته الخادمة
وعصرت عليه بعض الليمون (وهى الطريقة
المضمونة حتى اليوم للنجاة من الكوليرا) .. ثم
غاصت فى فراشها تحلم .. تحلم بالقطب الشمالى
وجبال الجليد ، والدبية البيضاء التى تنتظر جوار
البحيرات الذائبة حتى تخرج الفقمة رأسها عندئذ

★ ★ ★

وحين فتحت عينيها كان ضوء الغروب الأرجوانى
يملأ المكان .. وعلى الفراش المجاور رقدت (سوزان)
والإنهاك باد على أطرافها المبعثرة فى كل صوب ..
لقد كانت ليلة قاسية ونهاراً شاقاً على كليهما ..

- « (سوزان) .. إنه الليل .. »

البعوض قد بدأ يمارس واجباته الشرسة فى أرجاء
الحجرة .. صحيح أن هناك (ناموسية) فوق فراشها
لكنها ملأى بالثقوب ..

سمعت (سوزان) تهمهم فى وهن .. فنهضت
لترعجها أكثر ..

وأخيراً فتحت الفتاة عينيها وتأمّلت الكون فى
غياء ..

- « أين نحن ؟ »

- « إنها غرفتنا .. لقد نمنا خمس ساعات
متواصلة ! »

- « إذن مازلنا نحتاج إلى ثلاث ساعات أخرى ! »
قالتها وواصلت النوم مع صوت شخير محبب
للنفس ..

الحمقاء ! سيكون عليها أن تواجه ليلة أرق
مضنية ، بعدها يبدأ يوم آخر شاق .. إن يوم الأحد
- الأحد الجميل - يوم الإجازة مازال بعيداً جداً .. ربما
بعد شهر أو شهرين .. ربما أكثر ..

وهكذا لم تجد (عبير) مندوحة من مغادرة
الفراش .. والخروج إلى الردهة حيث اتجهت إلى

قاعة الطعام .. كان على المائدة بعض الموز
والماتجو .. إنها تحب الماتجو لكنها تعتبره ورطة
حقيقية .. وليس الوقت مناسباً للفرق في بركة من
السائل الأصفر اللزج الحلو .. إذن الموز أفضل ..

بدأت التهام موزة .. حين ...

أو غ غ غ غ ! غرررررر !

صوت غريب حقاً .. شبيه بصوت الفرغرة ...

هناك من يتغرغر .. ولكن لماذا ؟ وما سر هذا

الحماس المفاجئ ؟

واصلت التهام الموز كقرود جائع ، وحين سمعت

الصوت من جديد ..

غ غ غ غ غ ! إرررررر .. أوغ غ غ !

إن الصوت آت من ناحية المطبخ ..

هناك من يستمتع بالفرغرة الحلقية هناك لسبب

غير مفهوم ..

أسرعت - في الضوء الأرجواني الخافت - لتلقى

نظرة ..

وهناك جوار الموقد الذي يعمل بالكبروسين كان

هناك شيء ما ...

شيء أحمر اللون متكوم على الأرض ..
شيء له يدان وقدمان .. شيء له شعر طويل
أسود .. شيء له لسان أحمر يتدلى من فمه ...
شيء له عينا جاحظتان مخيفتان ..
شيء يشبه (جوتسنا) - الخادمة - في كل شيء
فيما عدا شينين :

أولاً : يوجد حبل غليظ يلتف حول العنق ..
ثانياً : لا يبدو أثر للحياة في الجسد بأكمله !



٩ - الذبابة والعنكبوت ..

و (عبير) تواصل الفرار وقد أوشك قلبها على التوقف ..

إن قلبها يتوسل إليها أن تستسلم .. فهو لم يعد قادراً على الاستمرار بهذه المعدلات الجهنمية .. إنه يوشك على أن تختلط عليه الأمور فيفتح الصمامات حيث يجب أن تغلق .. وينقبض حيث ينبغي أن ينبسط ...
هي أيضاً بدأت ترى الاستسلام فكرة معقولة إلى حد ما ...

لكن عقلها لم يكف عن استرجاع الأحداث التي قادتها إلى هذه الورطة ..

★ ★ ★

خذ عندك مثلاً لحظة العثور على جثة (جوتسنا) ..
لم تكن (عبير) بحاجة إلى عبقرية خاصة لتعرف أن الخادمة اختفت .. ومن خنقها بالذات ؟ طبعاً جماعة الخناقين ..

فى اللحظة ذاتها رأت أن الستار المغطى لنافذة
المطبخ يتأرجح كأنما هناك من يقف وراءه .. وينتظر !
كانت سكينة المطبخ هناك .. على الموقد .. وكان
الإغراء شديداً ..

لقد تعلمت من (شكسبير) - فى مسرحية
(هاملت) - أن توجيه الطعنات من وراء ستار لا تعنى
دائماً إصابة عدو .. (هاملت) حاول وخسر صديقاً
بل وأباً حبيبته ..

لكن هذه ليست مسرحية (شكسبير) .. الأصدقاء
لا يختبئون فى العادة وراء ستار .. ثم إنها لو
انتظرت وتدبرت ربما لن تفعل شيئاً أبداً .. كلاً .. إن
عليها أن تتصرف برذً فعل حيواتى سريع ..

و (هوب) ! اندفعت نحو الستار شاهرة السكين ..
وبأعنف ما استطاعت راحت تفرس التصل مراراً
لا حصر لها فى الجسد الواقف وراء الستار ، والذي
عجز عن التملص ..

سمعت صرخة .. فائة .. فحشجة ..

ثم تهاوى الجسد .. ومعه تهاوى الستار ممزقاً ..
ولم تر كثيراً من الدماء على عكس ما توقعت ...

أخيراً ترى الوجه ..
 كان هندية شرس المحيا .. وقد مات إلى أقصى
 درجات الموت التي يمكن وصلها .. فقط ظلت عيناه
 الجاحظتان ترمقتهما في غل ..
 هنا فقط عادت إلى وعيها وأدركت أنها قتلت رجلاً ..
 الأسوأ من هذا أن الرجل كان ينتظر لقتلها ..
 وخطر لها هنا أن الخناقين لا يخنقون ضحاياهم في
 أثناء النوم .. ربما لأن (كالى) ليست رحيمة إلى
 هذا الحد .. لقد كان الوغد يريد لها متيقة ..
 راحت ترتجف كمطرقة جرس كهريس .. وزلايتها
 أية شجاعة وقتية ..
 هزعت ذائلة الجنان لتوقظ (سوزان) .. أين
 ذهبت الأخريات ؟
 شرعت تهزها في جنون حتى فتحت عينيها بعد لاي :
 - « هيه .. هل هناك فيضان ؟ »
 - « أسوأ .. إنيهم وراينا .. لقد خنقوا (جوتسنا) ! »
 فرمت (سوزان) عينيها ثم تأملت وجه (غير)
 في دهشة :
 - « إن فمك مملوء بالموز .. هل تمزحين ؟ »

هنا فطنت (عبير) إلى أن الذعر أنماها ابتلاع
الموز المتكوم بين يديها .. فازدريته وعادت تحكي
ما كان ..

- « .. كان هناك واحد في المطبخ .. وقد قتلته ! »

- « أنت قتلته ؟ »

- « نعم .. بالسكين .. والآن .. يجب أن نفر من

هنا .. »

- « وأين الأخريات ؟ »

- « لا أحد سوانا هنا .. »

احمر وجه (سوزان) والتمت عيناها حماساً :

- « إن هذا مثير ! أخيراً بعض الإثارة في هذا البلد

الممل ! »

نظرت (عبير) إلى عينيها في حلق وغصفت :

- « إن هؤلاء القوم خطرون بعض الشيء لو كنت

قد لاحظت .. لا أرى كثيراً من الإثارة في أن أختلق .. »

ولردت الفتاتان ثيابهما كالمحمومتين .. ولم تنس

(عبير) أن تتغلف نصل سكين المطبخ من الدماء ثم

تنسها في نطاقها .. إنها - في قبضتهم - لن تكون

أكثر من قط صغير وسط كلاب شرسة .. لكن القط

المذعور يكون خطراً جسيماً أحياناً ..

كان الليل قد أعلن سيطرته على (دنهي) ،
 وراحت جيوشه تجوب الشوارع ملوحة بسيوفها
 السوداء .. حين غادرت الفتاتان المسكن ..
 كان هناك رجل عملاق يقف في فناء الدار .. وكان
 يرمقهما في صلابة .. فأجفلت الفتاتان ..
 لكنهما تعرفتا في ضوء النجوم الشاحب ..
 (رامو) الحمال والحارس الخاص لهما ..
 (رامو) كتلة العضلات التي لا يمكن النيل منها
 أبداً إلا لو أمكن النيل من الخرافات ..
 في لهفة صاحت (سوزان) :
 - « (رامو) ! هذا أنت ! »
 هتف بانجليزيتة الشنيعة :
 - « هل أنتما خارجتان أيتها الأستان ؟ »
 كادت (سوزان) تخبره بكل شيء لكن (عبير)
 لكزتها في خصرتها محذرة .. ثم قالت :
 - « نحن ذاهبتان للنزهة .. فهلا مشيت معنا ؟ »
 - « لا أرى ما يمنع .. »
 وهكذا - شاعرتين بالاطمئنان إلى حد ما - مشيت
 الفتاتان إلى جوار حارسهما العملاق .. في شوارع

(دلهى) التى غطاها الظلام .. وتلقائياً اتجهتا نحو
الثكنات العسكرية التى يتمركز فيها البريطانيون ..

★ ★ ★

للمرة الأولى تشعر (عبير) بالاطمئنان لرؤية العلم
البريطانى ..

وقد سألها الميجور (آيفورى) وهو يصب لها
قدحاً من الشاي .. ويوشك أن يضيف إليه بعض
(البراندى) لولا أن منعه إشارة من يدها :
- « هل تعرفتما أحداً من المجتمعين ؟ »

قالت (عبير) كاذبة بالطبع :

- « لا .. لكنهم يفترضون أننا صرنا عليمتين بكل
أفراد التنظيم السرى .. وأعتقد أنهم لن يستريحوا
حتى يتخلصوا منا .. »

- « موقف عسير .. »

قالها الميجور وهو يشعل مصباحاً آخر ليزيد تألق
الضوء وأردف :

- « .. إن هذه الجماعة رسمياً لا وجود لها ..
لا كيان لها .. أى أننا نبحث عن شيء هلامى ..
يمكن أن يكون أى شخص خائفاً فى أية لحظة وإثبات

هذا مستحيل .. أعتقد أن الحل الصائب هو أن تغادرا
(دلهى) ! »

- « تغادر (دلهى) ؟ »

- « و (الهند) كلها .. لم لا ؟ »

وتبادلت الفتاتان النظرات ..

بالنسبة لـ (عبير) لم تكن هناك مشكلة ما .. فكل
ما هنالك هو أن المغامرة ستنتهى .. وسيحضر المرشد
ليحملها إلى مغامرة جديدة ؛ أما بالنسبة لـ (سوزان)
فهي بالأسف حقاً .. لقد رتبت البائسة حياتها كلها على
الحياة فى (الهند) .. بل هو نوع من الرهينة
الاختيارية التى أزمعت أن تعيش فيها حتى تموت ..
كيف تعود إلى (بريطانيا) ؟ كيف ؟

قال لها الميجور وكأنما قرأ ما يدور فى ذهنها :

- « .. إن مستعمراتنا لا حصر لها .. يمكنك الذهاب

إلى (عدن) أو (القاهرة) أو (العالم الجديد) أو

(أستراليا) .. »

قالت مبتسمة فى إنهاك :

- « لا مشكلة .. كل ما هنالك هو أنني سئمت

الهدايا الجديدة .. أنا لم أكف عن الهدء من جديد منذ

عشر سنوات .. »

قال الميجور وهو يجرع ما بقى فى قفحه من
شاي :

- « ستبيتان فى التكنات ها هنا إلى أن نجد وسيلة
لترحيلكما .. يجب أن نتصل برئيس الشرطة
والمندوب السامى .. وإجراءات أخرى كثيرة .. »
ثم غادر المكان ليصدر تعليماته للجنود ..

★ ★ ★

فى ضوء اللمب كان الجنود البريطانيون يثرثرون ..
واستطاعت (عير) أن تتذكر زيهم المميز بغطاء
رأسهم وسراويلهم القصيرة .. وكان هناك بعض
جنود هنود يضعون المعالم على رؤوسهم ويرتدون
ذات الثياب التى يرتديها البريطانيون ..
وكان (رامو) ينتظر جوار الخيمة وقد وقف
جواره جندي بريطاني يحرسه .. فأمره الميجور أن
ينصرف ..

وكانت الخيمة التى اختارها لهما للنوم خيمة أخرى
لا يميزها شيء ، بها فراش أرضى غير مريح ،
ومصباح يتدلى من أعلى فى حبل ، وإن امتازت
الخيمة بأنها محكمة الإغلاق مما يعطيها نوعاً من

الخصوصية .. وقد تمنى لهما ليلة طيبة وغادر
المكان ..

- « هكذا فقط ؟ وأين يمكننا تناول العشاء ؟ »

تساءلت (سوزان) فهزت (عبير) كتفها :

- « لا أرى .. »

- « وأين يقضى المرء حاجته ؟ »

- « لا أرى .. »

- « أنا لن أنام لحظة واحدة في حديقة البق

هذه .. »

لكنها كانت تعرف أنها ستنام .. حتماً ستنام .. إن

حديقة البق خير من القبر على كل حال ..

وحين أطفأت (عبير) المصباح .. استطاعت أن

تري السيئويت المميز لجندى الحراسة بقبعته

والبنديّة ذات السونكى على كتفه .. كان يقف خارج

الخيمة يقظاً يبحث الاطمئنان فى النفس ..

الآن فقط يمكنها أن تنام ..

★ ★ ★

وحين فتحت عينيها فى الظلام لم تكن تعرف الوقت

جيداً ..

لكن أثار اهتمامها أن هناك من يتفرغ في الخيمة
بقربها !

أرغ غ ! أو غ غ غ ! غ و و و ه !
حقا إنه لحماس صحن مبالغ فيه !

★ ★ ★

١٠ - الهند الضيقة جداً ..

مازلنا إذن مع (عبير) فى ركضها المحموم فارة
من مطاردتها ..

وكما يحدث فى الأفلام الرديئة يطول (الفلاش باك)
إلى حد مبالغ فيه ، بحيث نرى كل القصة فى الدقائق
المعدودة التى استغرقتها فى الفرار ..

لكن الفرار لن يطول لأن هناك معبداً متهدماً يسد
الطريق ..

وعلى جدار المعبد ترى نقشاً بارزاً لـ (كالى) !
إنها إذن هنا .. فى مملكة (كالى) ذاتها .. وهو
ما يشبه فرار فأر إلى داخل المصيدة ..

الفرار لن يطول لأنها ترى عشرة منهم يقفون فوق
سقف المعبد .. ترى عماتهم وأجسادهم السمراء
، النحيلة .. وبرغم أن قرص الشمس وراءهم - مما
يجعل الرؤية متعذرة - إلا أنها تميز حبلًا بين قبضتى
كل منهم ..

تُرى هل الخلق أليم إلى هذا الحد ؟

★ ★ ★

حين صحت على صوت الفرغرة إياه احتاجت إلى
بضع دقائق لتفهم .. وأخيراً بدأت عيناها تألفان
الظلام ..

وكان ما رآته هو جسد (سوزان) ينتفض ، وثمة
علاق هندي يجثم فوق ظهرها وقد أرغمها على
الانثناء للأمام .. ولف حبلاً حول عنقها من الخلف ..
وداح يضيق ويضيق !

لم تتمكن من الصراخ أو الوثب عليه لأنها رأت من
بدنو نحوها في الظلام بذات الحبل .. ولهؤلاء القوم
عادة في حمل الحبال بين الكفين المفتوحتين فلا
يستخدمون أسلوب الأنشودة أو المشنقة ..

كان القائم نحوها نحيلاً .. ولم تر وجهه في الظلام
لكنها أدركت أنه لم ير وجهها كذلك ولم يعرف أنها
صحت من نومها ..

وفهمت أنهم أيقظوا (سوزان) قبل خنقها حرصاً
على مشاعر السيدة (كالى) التى تحرم الخنق فى
أثناء النوم .. وبالتأكيد ينوى مهاجم (عير) أن
يوقظها أولاً قبل أن ينفذ مهمته المقدسة ..

قَرَرْتُ أَنْ تَتَظَاهَرُ بِالنَّوْمِ الثَّقِيلِ لَتَكْسِبَ وَقْتًا ..
وَجَاءَ الرَّجُلُ وَرَاحَ يَهْزَاهَا فِي رَفْقٍ .. أَسْلُوبُهُ
مَهْذَبٌ جَدًّا وَأَقْرَبُ إِلَى الرَّقَى :

- « مِثْ ! مِثْ ! »

عَرَفْتُ أَنَّهُ يَعْنِي (مِيس) أَيْ (أَنْسَة) .. وَهِيَ
الْكَلِمَةُ الْإِنْجِلِيزِيَّةُ الْوَحِيدَةُ فِي جَعْبَتِهِ .. ثُمَّ أَزْدَادُ
عَنْفًا .. وَرَاحَ يَهْزَاهَا فِي حِمَاسٍ أَكْبَرَ :

- « مِثْ ! مِثْ ! »

وَبَرَطَمَ بِالْأُورْدِيَّةِ بَضْعَ كَلِمَاتٍ لَمْ تَفْهَمَهَا ..
هَنَا حَانَ وَقْتُ الْعَمَلِ .. فَهِيَ تَعْرِفُ مَا يَقُولُونَهُ
لِلْفَتَيَاتِ فِي مُحَاوَلَاتِ الْإِعْتِدَاءِ فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ ..
إِصْبَعَيْنِ فِي الْعَيْنَيْنِ .. لَكِمَةً فِي الْحَنْجَرَةِ .. رَكْلَةً فِي
قَصْبَةِ السَّاقِ .. وَكَانَ الْحَلَّ الْأَوَّلُ هُوَ الْأَقْرَبُ
لِلصَّوَابِ ..

وَصَرَخَ الْمَهَاجِمُ بِعُنفٍ حِينَ انْفَرَسَ ظَفَرًا (عَبِير)
فِي عَيْنِيهِ ..

وَكَانَ الْوَقْتُ يَسْمَحُ بِلَكِمَةٍ فِي حَنْجَرَتِهِ .. ثُمَّ الْوُثْبُ
مِنَ الْفَرَاشِ الْأَرْضِيِّ ..

فَالرَّكْضُ نَحْوَ مَا تَذَكَّرُ أَنَّهُ مَوْضِعُ بَابِ الْخِيْمَةِ ..



وجاء الرجل وراح يهزها في رفق .. أسلوب مهذب جداً واقرب
إلى الرقي : - ميث ! ميث ! ..

يا للظلام ! كيف يمكن تبين لربها وسط هذا السواد
المتجاس ؟

تعثرت مرتين .. وارتطمت بقماش الخيمة السميك
ثلاث مرات ، لكنها فى النهاية وجدت فرجة ما ..
استطاعت أن تتفذ منها ..

وتعثرت فى جسد معدد على الأرض فسقطت ..
وفى الظلام استطاعت أن تميز أن هذا جسد يرتدى
ثيابا عسكرية ، وعلى رأسه خوذة ، وجواره بندقية ..
إنه جسد جندى .. الجندى الذى كان يحرس الخيمة ..
لقد تسللوا إلى الثكنات وقتلوه .. لقد ...

لم يتسع الوقت لفهم أكثر لأنها رأت اثنين من نوى
العمامات هؤلاء يخرجون من داخل الخيمة راكضين ..
كان بالخيمة أكثر من اثنين إذن .. هى ما زالت راكعة
على ركبتيها تتفحص الجثة ..

وبرز فعل غريزى لارتفاع السونكى فى الهواء
بزاوية حادة ، فى اللحظة التى لنا فيها أكثر
المهاجمين حماسا وسرعة .. وبحماس مماثل انفرس
التصل بالكامل فى بطنه ..

ترى ماذا قال ؟ وبهم شعر ؟ الواقع أنه لم يقل شيئا

قط ؛ لأنه طار في الهواء وتكوى على الأرض كجوال
من البصل قائم من الصعيد .. وقبل أن تفهم (عبير)
أنها قتلت واحداً كانت قد سحبت المسونكى من بطنه
وسندت الفوهة نحو الآخر وضغطت الزناد ..

يوم ! رائحة البارود .. ودوى الطلقة .. يبدو أن
هذه البنادق الصديقة كانت تحدث ضوضاء أكثر من
بنادقها المعاصرة ..

وحاولت ضغط الزناد ثانية لكن البندقية كانت
تحتوى طلقة واحدة .. وتذكرت على الفور أن أسلوب
البريطانيين في حروب (الهند) كان يستعير عن
هذه النقطة بالقتال بصفين .. صف يطلق الرصاص ثم
يتراجع للوراء ويعود حشو سلاحه راکفاً .. بينما
الصف الثانى يطلق الرصاص ثم يتراجع للوراء
بدوره .. ويعاود الصف الأول الكرة ...

على كل حال لا داعى لطلقات أخرى لأن مهاجمها
قد مات ..

وانطلقت كالمجنونة وسط الخيام والبندقية الفارغة
في يدها .. لن تنتظر حتى يأتى من سمعوا الطلقة من
الجنود .. إنها لا تعلم مدى سيطرة الخناقين على

المكان .. ثم هي لن تنسى أن عددًا لا بأس به من الجنود الهنود موجودون هنا .. فكم منهم من الخناقين يا ترى ؟

وعند البوابة الخارجية لم تجد أحدًا من الجنود .. فقط حين دققت النظر أدركت أن هناك حذائين عسكريين يبرزان من وراء شجرة ضخمة على بعد عشرة أمتار من البوابة .. وعندها فقط عرفت حجم الهجوم .. هجوم معسكرات تقليدي يبدأ بقتل حارس البوابة ثم حارس الخيمة .. يمكن أن يكون هناك عشرون خناقًا في المعسكر الآن .. ومن حسن الطالع أنها تنبهت .. وأنها لم تبحث عن نجدة ..

وبيد عصبية رفعت أطراف تنورتها لتجعل الركض سهلاً .. وراحت تسابق الريح في الشوارع المظلمة ..



كانت الآن عند الميناء ..

القوارب البدائية المحملة بالغلال والفاكهة تشق طريقها ببطء في مياه نهر (جمنا) .. والمشاعل ترسم لوحة لا توصف من اللون الذهبي فوق صفحة الفضة .. وثمة من يترنم بلحن حزين مقعم بالشجن ..

إلى أين تذهب ؟ ماذا تفعل ؟ فى من تثق ؟

هنا شعرت بيد رقيقة تجذب تنورتها :

- « مس (هولرويد) ؟ »

- « (سابور) ! »

كان الصبى الحبيب إلى نفسها يقف خلفها ، وهو يتلفت حوله فى توتر .. ولم يبال بدهشتها أو منات الأسئلة التى تريد توجيهها له ..

قال لها بلهجة عملية وهو ينتزع البندقية من يدها ، ويلقيها جانباً :

- « من الخطأ أن تمشى هنا .. »

- « إننى .. هناك من »

قال بلهجة أكبر من سنه بكثير :

- « أعرف كل شيء .. وعليك أن تتوارى حالاً .. »

وفى حزم راح يركض مبتعداً عن النهر .. فلم تجد مفراً من أن تركض وراءه .. بعض المتسولين يفكرون فى الإلحاح عليها ثم يحجمون حين يرون وجهها الممتنع .. وها هى ذى تجتاز عشرات الأرقعة الضيقة المظلمة ..

وفى النهاية يفتح (سابور) باباً خشبياً ثقيلاً ..

ويقودها إلى حجرة ضيقة تنتشر الطحالب والرطوبة
على جدرانها .. ويشعل شمعة صغيرة يثبتها إلى
حجر بارز من الجدار ..

تسأله (عبير) وهي تلتقط أنفاسها :

- « هلا شرحت لى ؟ وأين كنت أنت ؟ »

يقول (ساهور) وهو يتجه إلى الباب :

- « كل ما أجروا على قوله هو أننا فى ملزق

مخيف .. عليك أن تبقى هنا .. وسوف أحضر بعض

الجنود حالاً .. الجنود البريطانيين .. »

- « ولكن »

- « أعرف .. الوطاويط ! لكنها لا تؤذى يا مس

(هولرويد) .. إنها تأكل الفئران لهذا نرببها فى

ديارنا .. ولتفس السبب احتفظنا بثعبان الخنزير الذى

يجول فى الغرفة الآن .. إن هذا هو جُحره ! »

- « وطاو ثعب ! »

لكن الصبى كان قد رحل .. أوصد الباب خلفه

وتركها وحيدة ..

ونظرت إلى السقف فرأت عشرات من تلك الثدييات

المجنحة لعينة المنظر .. اللعنة ! من قال إن

الوطاويط أرحم من الفئران ؟ إنها نشأت في حارة
ولا تضايقها الفئران كثيراً .. ولو ألف منها فلا يمكن
مقارنتها بوطاويط واحد .. ثم الثعبان !

كلا .. يجب أن تغادر المكان حالا ..

ومدت يدها إلى الباب .. تحاول فتحه ..

لكنه كان موصداً .. وعرفت من صوت حركته أن
هناك مزلاجاً في الجانب الآخر ! لماذا يوصد (سابور)
الباب بمزلاج ؟ إن أحداً لا يعرف أنها هنا .. معنى
هذا أن المزلاج ليس لحمايتها بل لحصارها ..

إن (سابور) قد صار منهم حقاً ..

ومضى هذا أنها تركته يقودها إلى الشوك كالبهائم ..

لقد كان مقتعاً في لهفته وفي ذعره حتى إنه لم يدع
لها فرصة للتساؤل .. ثم هي عاجزة عن تصديق
وجود الشر في الأطفال .. إن إيمانها المطلق ببرائتهم
غير قابل للتزعزع إلا بمعجزة .. كهذه !

والآن ماذا تفعل ؟

هناك فرجة في السقف الخشبي للحجرة .. لكن
الوطاويط ! إنها لن تجازف بالصعود هناك وإثارة
غضب هذه الفئران المجنحة أبداً ..

أنتظر مصيرها إذن ؟
لم تدم حيرتها أكثر من ربع ساعة لأنها شعرت
بشيء يسقط من الفجوة ، ويتكؤم عند قدميها ..
كان هذا الشيء حبلاً .. حبلاً سميكاً من الليف
المشبع بالزيت !

★ ★ ★

ورفعت عينيها لأعلى ..
كان هناك رأس ذو عمامة يطل عليها من عل ..
من الفرجة ..

وسمعت صوتاً مألوفاً يصيح فيها :
- « هه ! يا آنسة ! أنا (قسمت) ! »
ومن ذا الذي لا يعرف (قسمت) ؟
- « هل تستطيعين التسلق ؟ »
قالت بذلك الهمس الشبيه بالصراخ :
- « ربما استطعت لو كان الحبل متدلياً من شيء ..
لماذا لم تربطه عندك ؟ »

- « إن هذه الأساليب البدائية لا تناسب (قسمت) »
وبعد ثانية رأت المزمار في فمه .. وسمعت اللحن
المميز الحزين الملىء بالمرح برغم ذلك .. وفي هذه

المرّة تم الأمر أمام عينيها .. الحبل عند قدميها
يتحرك ببطء .. ثم يرتفع لأعلى بتؤدة .. لأعلى ..
لأعلى .. حتى يبرز طرفه من فرجة السقف ..
لم يكن (قسمت) قائراً على شرح ما يريد منها ..
لكنها فهمت دون عناء .. وعلى الفور لفت نراعيها
وساقبها حول الحبل وشرعت تتسلى لأعلى .. آه لو
كانت هناك عقد في الحبل ! لكن (قسمت) اقتصادي
التفكير لا يريد أن يفقد شيئاً من طول الحبل ..
على كل حال يمكن القول إنها تمكنت من الوصول
إلى الفرجة ..

كان الهواء على السطح منعشاً .. وكان (قسمت)
وسيماً كما لم تراه من قبل .. وكادت تبدأ الكلام
معبرة عن انبهارها بهذا الملك الحارس .. لكنه هتف
همساً وهو يشير إلى أسفل ويربط الحبل في قطعة
خشب :

- « صه .. لقد جاءوا ! »

وحقاً رأت الصبي (سابور) - ذلك الخائن - يركض
ما بين الجدران المتلاصقة وراءه ثلاثة من هؤلاء
الرجال حاملي الحبال .. ولسان حال الصبي يقول :
هأنذا قد فعلتها .. أستم فخورين بي ؟

قال (قسمت) وهو يناول كفاً قوية لـ (عبير) :
- « هلمى .. سأساعدك على النزول ثم نسولى
الأدبار .. »

وهوب .. انزلقت (عبير) إلى الأرض وتلاها
مشعوذها .. ومن داخل الغرفة سمعت صيحة غاضبة ..
لقد عرفوا أنها فرّت ..

راحت تركض لاهثة بسرعة لم تعهدها فى نفسها
لكن فراع (قسمت) القوية كانت تجرها جرأ فلم يعد
أمامها خيار سوى الجرى بذات سرعته .. أو السقوط
أرضاً والخضوع للجرّ ككلب ميت ..

قال لها وهو لا يكف عن الجرى :
- « لهذا قمت بربط الحبل .. إن عثورهم عليه
غير مربوط إلى شيء يشير إلى شخصى بوضوح ..
لكنهم الآن سيجدون احتمالات كثيرة .. هه .. هه ! »
- « هه هه ! فهمت .. هه هه ! »

وبعد قرون من الركض وجدت (عبير) نفسها فى
كوخ خشبي حقير .. وعرفت دون سؤال أن (قسمت)
يعيش هنا .. يعيش مع أصدقاء غريبى الشكل نوعاً ..
توجد سلة ملأى - حتمًا - بشعابين الكوبرا .. ويوجد

قرد من (موديل) غير معروف .. ربما هو
(البابون) .. ويوجد وحش عجيب أقرب إلى تين
صغير أو سحلية ابتلعت بطيخة .. عرفت (عبير)
فيما بعد أنه سحلية (الورل) ..

وعلى الجدار كانت هناك مجموعة من الحبال تشير
حسد أي هاوٍ لجمع الحبال في العالم ، لو كان هناك
من يجمعها حقاً ..

كان منهمكاً في إضاءة بعض الشموع ، وسط
الرائحة الخبيثة التي تحدثها حديقة الحيوان هذه ..
حين سألته (عبير) :

- « هل كل هذه الحبال للخلق ؟ »

قال لها في لا مبالاة :

- « بعضها .. وبعضها لألعاب الحواة .. وبعضها

للزينة .. لماذا تظنين أنني أهوى الخلق ؟ »

قالت وهي تجلس على حشية على الأرض :

- « ألسن خناقاً ؟ »

- « بلى .. وأبى كان خناقاً .. وأبوه كان خناقاً .. »

- « إذن أنت تلعب دور المنشق على الجماعة ؟ »

قال وهو يداعب القرد .. ثم يقشر ثمرة موز ،

فيلتهم نصفها ويدس في قم القرد نصفها الآخر :
- « ليس اتشاقاً .. لنقل إنه خلاف على المسميات .. »
ثم أردف باسمًا :

- « ما كنت لأستطيع أن أفكك .. ليس لأنك أنثى ..
بل لأننى همت بك حباً منذ التقينا فى السوق .. إن
الأسطورة الهندية تقول إننا جزيئات من جسد
(كرىشنا) الكبير لا تلبث أن تصير ذكراً وأنثى ..
وحين يلتقى اثنان من نفس الجزىء فإنهما يتعرفان
بعضهما .. وأنا أشعر أننى كنت معك فى جسد
(كرىشنا) منذ زمن سحيق .. ألم تشعرى بذات
الشيء ؟ »

- « بلى .. أعترف .. »

- « هذا هو بيت القصيد .. »

قالت له محاولة تغيير الموضوع لأن هذا الكلام
يصيبها بأورتيكاريا شديدة هى مزيج من الاستحسان
له والنفور منه :

- « من أنت ؟ حقاً .. »

- « يا له من سؤال ! أنا (قسمت) .. من ذا الذى

لا يعرف (قسمت) ؟ »

- « أعنى (قسمت) الخناق .. »

قال فى فخر وهو يتحسس الحبال فى حنان :

- « أنا (جورو) .. »

- « (جورو) ؟ »

- « نعم .. أى رئيس فرقة .. وتحت إشرافى

عشرة خناقين .. كلنا نمشى فى سلك الترقيات من

أسفله .. وأسفله عندنا هو (اللوجا) .. أى حفار

القبور الذى يعدّ القبر للضحية قبل خنقها .. إن دفن

الضحية عندنا ذو أهمية قصوى .. وأعتقد أن هناك

من دفن خادمك وصديقك الآن (*) .. »

- « هل يعود هذا لأسباب أمنية ؟ »

- « لا .. تقول الأسطورة إن (كالى) ضبطت

خناقاً يتجسس عليها لمعرفة ما تفعله بالجنة .. من

ثم قرّرت معاقبته ومعاقبة الخناقين جميعاً بإرغامهم

على دفن جثة من يخنقون .. إن هذا لمجهود شاق

حقاً إذا عرفت أن كلاً منا يخنق نحو مائة شخص فى

حياته ! أى مائة قبر ! »

(*) من جديد نكرر المعلومات المذكورة هنا عن الخناقين

دقيقة تماماً ..

- « إنها لمهنة شاقة حقًا .. »

- « هكذا الحياة .. »

بدأت القصة تروق لـ (عبير) .. فواصلت أسئلتها :

- « وماذا بعد آل (لوجا) ؟ »

- « آه .. هنا تأتي مرتبة آل (سوتا) .. أي

المرشد .. وهو مسئول عن استدراج الضحايا وجمع

عنهم المعلومات متخفيًا .. إن (رامو) حارسك

الخاص هو (سوتا) بارع في عمله .. وهو من

وجدك وصديقتك ! »

اتسعت عيناها في ذهول وانتصبت واقفة :

- « (رامو) ؟ لكنه من السيخ المتعصبين ! »

أخرج تنهيدة قنوط .. وقال وهو يرمق القرد :

- « كذا الناس جميعًا لا يصدقون إلا ما يريدون

تصديقه .. هل تريدون من الخنّاق أن يمشى في

الطريق والحبيل في يديه ؟ من الطبيعي أن يبدو

الخنّاق أقرب ما يكون إلى المسلم المتدين أو

الهندوسي المتعصب .. يبدو تاجرًا محترمًا أو شيخًا

جليلًا .. »

- « غريب .. وكنت أحسب الوغد يحميني .. »

- « ما كان ليخففك على كل حال فهذا غير مسموح
له .. بعد .. ثم تجيء مرتبة الـ (شوشيا) .. الذي
يشتت انتباه الضحية إلى أن يتولى الخناق العمل ..
إنه يشبه من يقوم بـ (التقييل) لدى نشألكم .. ثم
يترقى الـ (شوشيا) ليفقد (جورو) .. وهي أعلى
مرتبة في الخناقين .. وأكثر الـ (جورو) يخفقون
وحدهم دون مساعدين .. »

- « لكن لكل كبير كبيراً .. »

- « طبعا .. رئيس الجماعة هو الرأس المهيمن
على كل شيء .. وهو على اتصال مباشر بـ (كالي) ..
أو هكذا يزعم .. »

- « وكيف نشأت جماعتكم هذه ؟ »

- « لا أحد يدري .. يقال إن لها علاقة بمذهب
(الحشاشين) القديم في العراق .. لكننا لسنا
متأكدين .. »

ساد الصمت برهة ..

لا صوت سوى صوت السحلية (لا أنكر في الواقع
هل هو نقيق أم خرير أم ثغاء أم ماذا) ..
بعد قليل سألت (عبير) :

- « وهل أنا نقطة الخلاف الوحيدة بينك وبينهم ؟ »
- « بالطبع لا .. كنت أحاول دوماً إقناعهم بأن
عصر التطوير لنشاطنا يجب أن يبدأ .. وإلا فاتنا قطار
التقدم .. وانقرضنا (*) »

- « تعنى الخلق عن طريق الغازات ؟ »
التمعت عيناه حماساً ورفع عينيه إلى الأفق حالماً :
- « لا .. نحن نبذل جهودنا فيما لا طائل من ورائه ..
لماذا لا نرحم أبناء وطننا قليلاً ونبدأ فى خلق
الإنجليز ؟! إن هذا يوجه نشاط الجماعة إلى الطريق
الصائب .. »

- « وماذا قالوا لك ؟ »
- « قالوا إن الخلق ليس تعذيباً للبشر بل هو
رحمة لهم .. وهو شرف لا يستحقه الإنجليز
الكلاب .. »

- « هذا منطقي .. »
- « لكننى لم أجرو على إعلان رأىى .. وهو أننى
أشك أساساً فى مبدأ وجود الجماعة .. أشك فى وجود

(*) للأسف لم يصغ أحد للكلمات (قسمت) .. وقد أبيدت
الجماعة فى نهاية القرن التاسع عشر لأنها لم تلحق بركب التقدم ..

(كالى) .. وأعتقد أنني لو عبدت إلها .. لعبدت إله المسلمين والمسيحيين .. إلها واحداً قديراً رحيماً بعباده .. ولهذا كله أرى أن الخناقين بلهاء لكن تنظيمهم السرى المحكم يصلح نواة لمحاربة عدو حقيقى .. هو الإنجليز .. »

- « ووصلت إلى هذا وحدك ؟ »

- « كان هناك تاجر عربى قد بذر بذرة هذه الأفكار فى روى .. لكن الخناقين يرون أنني مخبول .. وأنى أبشر بأفكار ملحدة خالية من الصواب .. »
- « أنت فيلسوف سبق عصره .. »

- « إن (الهند) هى موطن الفلسفة ومهداها .. لكنها فلسفة غالية ثمنها الوحيد هو الموت .. »
وفجأة نظر إلى (عبير) فى شك ومدّ يده إلى أحد الحبال :

- « كيف تؤيدون رأى هذا وأنت إنجليزية ؟ هل تحاولين خداعى بشكل ما ؟ »

★ ★ ★

١١ - عند مفترق الطرق ..

بماذا ردت عليه ؟

لم تعد (عبير) تذكر جيداً .. لكنها بالتأكيد لم تقل إنها مصرية .. قالت كلاماً كثيراً عن كراهيتها للإنجليز وعدم شعورها بالانتماء لهم ، لكنها لا تؤمن بالاستعمار في أية صورة له ..

لا بد أنها استغرقت بعض الوقت حتى تخلت يداه عن الحبل ، ولأت قناته قليلاً .. وأخيراً قال لها :

- « هذا غريب .. لو أصغيت لقومى لخنفتك لأنك عرفت الكثير عنا .. ولو أصغيت لنفسى لخنفتك لأنك إنجليزية .. لكن صوت قلبى أعلى من الصوتين .. ولا أحد سوى الخضوع له .. »

وفجأة تصلب ..

كان هناك من يتحدث بأوردية غاضبة خارج الدار :

- « آرام جوهار أردهار ماتدراتات إنجليس ! »

- « لاكين ها موشكيل آتشا ! راهرادات شونكار .. »

هاه ! «

صاح همسا وهو ينهض مذعورا :

- « إنيهم من الخناقين .. لقد تعرفوا الحبلى فى
محبستك الذى قررت منه ورجحوا أنه يخصنى ..
ويبدو أن هناك من رأنا ندخل هنا »
- « يا للكارثة ! »

واقهرت قرعات غاضبة على الباب :

- « (قسمت) ! (قسمت) ! »

قرعات تكاد تنتزع الباب من مفصلتيه ..

كانت هناك نافذة موصدة أسرع (قسمت) بفتحها ..
وأشار لـ (عبير) بالخروج منها .. ثم عاد فأخذ
سحلية (الورل) فللقها حول عنقه ولحق بالفتاة ..
وانطلقا يركضان فى الشوارع المظلمة ..
سألته (عبير) وهى تلهث :

- « هه هه ! هل هذه السحلية من المتاع المهم إلى
هذا الحد ؟ »

- « هه هه ! طبعا .. إن الحياة دون سحلية
مستحيلة .. وأنا لا أفهم كيف يمارس الإنجليز حياتهم
دون سحالي ! »
ثم أرفف بلهجة جدية :



كانت هناك نافذة موصدة أسرع (قسمت) بفتحها .. وأشار له (عبير)
بالخروج منها ..

- « ستعرفين أهميتها حالاً .. »

كان هناك سور عال يسد الطريق .. وأدركت
(عبير) أن التسلق مستحيل .. والتراجع مستحيل
كذلك .. فما الحل ؟

هنا رأت (قسمت) يخرج من منزله حبلاً ..
ويربط الحبل في جسد (الورل) بإحكام .. ثم يترك
(الورل) على الجدار ..

فماذا فعل (الورل) ؟ بالطبع تسلق الجدار
مستعملاً ممصاته حتى وصل إلى أعلاه .. وتشبث
بمكاته وهو يخرج لسانه المشقوق في جشع ..
جذب (قسمت) الطرف الحر من الحبل ليتأكد من
كونه محكمًا .. ثم دعا (عبير) إلى التسلق ..
فصرخت :

- « أتسلق حبلاً مربوطاً في سحلية ؟! هل جنتت ؟! »

- « بالعكس .. إنه أسلوب هندي قديم يمارسه

النصوص .. إن تمسك (الورل) بالجدار يجعل الحبل
قائراً على تحمل رجلين (*) .. »

(*) حقيقة ..

- « كنت تستطيع رفع الحبل بمزمارك أو تدرب
القرد على ذلك .. »

- « المزمار سيجذب (دلهى) كلها إلى هنا ..
والقرد لن يحسن تثبيت الحبل مهما حاولنا .. والآن
هيا ! لن نقضى الليل فى جدال .. »

وفى توتر راحت (عبير) تتسلق الحبل غير
مصدقة أنه سيتحملها .. وحين وصلت لقمة الجدار
وجدت (الورل) لم يتزعزع شعرة .. وإن راح يصدر
هسيساً مخيفاً .. ولسانه المشقوق يتحسس شففيه
الحرشفتين بحركات عصبية سريعة ..

ولحق بها (قسمت) .. فأدلى بالحبل إلى الجانب
الآخر من السور .. وانزلق عليه لأسفل .. وتلته
(عبير) ..

بعدها أصدر هسيساً خاصاً .. فتخلت السحلية عن
مكاتها .. وانزلت على السور نازلة إليه ..

سأله (عبير) وهما يواصلان الركض :

- « أين تعلمت كل هذا ؟ »

- « نسيت أن أقول لك إبنى كنت لص بيوت قبل

أن أغدو (لوجا) .. هه هه ؟ »

واصلت الركض .. وبعد هنيهة سألته السؤال المحتم :

- « إلى أين ؟ »

- « إلى أحد معسكراتكم .. لن أصطحبك هناك ..

بل سأتركك تتفاهمين معهم .. وأعتقد أنه من الخير

أن تتركني (الهند) .. »

- « هذا ما أراه .. »

في تردد سألته :

- « وأنت ؟ يبدو أنني أفسدت عيشك في (الهند)

للأبد .. كيف ستعود إلى هؤلاء وهم يعرفون أنك

منشق ؟ »

- « لن أعود .. » - قالها وهو يربّت على عنق

السحلية - « .. سأرحل إلى (مدراس) أو (بومباي)

وأبدأ من جديد .. »

- « ولم لا ترحل إلى (إنجلترا) ؟ »

- « لا مكان لي هناك .. إن لنا جالية كبرى في

جنوب (إفريقيا) ولربما فكرت في اللحاق بها .. »

★ ★ ★

هنا وجدت (عبير) صفًا من الهنود يقفون سادين

طريق الهرب أمامهما .. ولم يكن أحدهم يحمل كارنيه

نقابة (الخناقين) .. لكن لم يكن الأمر يحتاج إلى
كثير ذكاء لمعرفة أنهم منهم ..

صاحت فى هلع وهى تثبت كعبيها فى الأرض
كالفرامل :

- « ك .. كيف وجدونا ؟ »

قال وهو يفرمل بالمثل :

- « سؤال جيد .. لكنى لا أعرف إجابته .. »

ثم ضغط على أسنانه .. وأحكم لف السحلية حول
عنقه كالبردة .. وقال :

- « إنها (لحظة الحقيقة) كما تقولون معشر
الإنجليز .. وقد حان الوقت لنفترق .. سأحاول
تعطيهم برهة .. »

هتفت فى زعر وهى ترى القوم يخرجون حبالهم
ويتقدمون :

- « ل .. لكن .. إنهم سيدمرونك .. »

- « بالتأكيد .. »

- « لماذا لا تفرّ معى ؟ »

- « لا بد من أن ينتظر أحد من أجل الآخر .. إن
اتجاهك سيكون شرقاً .. حاولي الاحتماء بجدران

المنازل .. ولا تنقى بالشيوخ المكفوفين ولا الأطفال
الأبرياء .. وداعاً .. وليحفظك الله ..
ولم تجد وقتاً لتفهم ..

فقط وجدت نفسها تركز في الاتجاه الذي حذره ..
والتفتت فوق كتفها لترى عجباً ..
من الذي لا يعرف (قسمت) ؟

إن (قسمت) يدور في الهواء .. يتدحرج على
الأرض .. يلقي بسحليته في وجه أقرب الخصوم له
فيصرخ ويداري وجهه .. ثم يثب وينتزع السحلية
التي غرست ممصاتها في لحم الوجه .. ويقذفها نحو
مهاجم آخر ..

ويرفع الأول في الهواء ليقتفه فوق مهاجمين
آخرين ..

وترى (عبير) عشرات من القوم ينقضون
- كالقروء - آتين من حيث لا تعلم .. يقفزون من فوق
سطوح المنازل ، وهم يعوون كالذئاب والحبال في
أيديهم ..

(قسمت) ! من ذا الذي لا يعرف (قسمت) ؟
هو ذا يأتي بحركات راقصة يروغ بها من بين

صفوف المهاجمين .. ثم يركل هذا .. ويضرب ذاك
فى عنقه .. ويلوى ذراع هذا ..
وساعد ثوبه الأبيض - الشيلوار - فى جعله يبدو
كملاك وسط شياطين عارية الجسد لا تكف عن العواء
وطلب الدم ..

(قسمت) .. من ذا الذى لا يعرف (قسمت) ؟
وهنا فطنت (عبير) إلى أنها أضاعت وقتاً ثميناً ..
فراحت تركض كما علمها ..
وتدحرجت دمة على وجنتيها وهى تدرك أنها غالباً
لن تراه ثانية .. لكن ماذا بوسعها أن تفعل ؟



وها هى ذى - كما رأيناها عبر فصول القصة -
تواصل الركض وتتورتها بين كفيها .. وقد حنت
ظهرها لتقلل احتكاك الهواء بها كما يفعل المتسابقون
بالدراجات ..

ورأيناها واقفة أمام معبد (كالى) ترمى فى هلع
هؤلاء الواقفين فوق الجدران .. وخلفها .. والحبال
فى أيديهم ..
إن هذه نهاية السباق حتماً ..

- « (قسمت ١) »

همست بها متوقعة أن يظهر كعادته فى آخر لحظة
لينقذها من المذبحة .. لكن - حتى فى (فانتازيا) -
يفدو هذا مستحيلاً الآن ..

وهنا وجدت أن للمعبد باباً ..
إن للمعبد باباً ثقيلاً .. ويمكن بشيء من الجهد
أن ...

أطلقت ساقبها للريح قاصدة الباب ..
لو كان منهم من ينتظرها بالداخل فسوف
سمعتهم يتصايحون .. بالتأكيد عن الأجنبية التى
ستدنس المعبد .. بقدميها الأنجلوساكسونيتين
القذرتين .. أو أى شيء من هذا القبيل ..
ولكنها وجدت الوقت الكافى كى تدلف إلى المذبح ..
كان هناك مشعل واحد يضئ المكان .. واستطاعت
أن ترى الجدار العملاق يزدان بتمثال هائل يبرز منه ..
يمثل (كالى) بأذرعها الستة وهى جالسة على
عرشها الذى لو ترحزحت عنه لاجتاحت الزلازل
العالم ..

لكن التمثال كان يختلف عن تماثيل الهندوس ..

فالملاح قاسية شرسة وثمة حبل فى كل كف من
أكفها .. إنها (كالى) حقًا لكن بعد أن صارت
(يوهوانى) .. وبعد أن طلاها الخناقون بصفتهم ..
ونظرت (عبير) حولها ..

كان الخناقون قد دخلوا المعبد .. وراى أنهم يتصايحون
ويتبادلون كلمات منزعة .. وبرغم حنقهم ظلوا
عاجزين عن الدنو من التمثال .. لا بد أنهم يهابون
الدنو من هذا الشيء ...

إنها فرصتها إذن ...

تسلقت التمثال المخيف .. فتصاعدت الصرخات ..
لا بد أنهم يتوقعون أن تنطبق السماء على الأرض
أمام كل هذا التجديف الإلهادى الخارق للعادة ..

جلست (عبير) كالرضيع فى حجر (كالى) ..
وتذكرت هنا شيئًا .. إن كل هذه الأصنام تكون لها
- فى القصص - فتحة ما تقود إلى نفق سرى ..
وبالتأكيد لن يترك (دى - جى - ٢) فرصة كهذه ..
بالفعل هناك فتحة ..

بعبارة أدق يوجد باب سرى له مقبض بارز .. فلو
أمكن أن

وجذبت المقبض .. وعلى الفور انفتح الباب ..
ورأت من مكانها بئراً عميقة مظلمة تنتظرها .. الام
تقود ؟ لا تدري ..

لكنها لن تظل محتمية بـ (كالى) للأبد .. فالهنود
يتمتعون بالصبر ولن يضيرهم فى شىء أن يعيشوا
حول التمثال أعواماً - وعلى سبيل التبرك - إلى أن
تقرر (عبير) الابتعاد عن (كالى) ..
وهكذا ..

مددت جسدها .. وانزلت عبر الفتحة إلى أسفل ...
إلى أسفل .. إلى أسفل .. إلى أسفل ..
البئر منحدره كالألعاب الملهى ..
والمرور على ملهى بالانحناءات .. لكن جسدها
لا يكف عن الانزلاق ..

وبدأت تتساعل فى الظلام عما إذا كانت هناك نهاية
لكل هذا .. هل ستخرج فى المحيط الأطلنطى أم ماذا ؟
لكنها تواصل الانحدار .. وهى تشعر بأن النار
ستندلع من ردفها من شدة الاحتكاك ..
وبعد قليل رأت النور .. و ..

هوب ! قذفت فى الهواء .. وتمددت على الأرض
وسط الأشجار مهشمة الأوصال والعظام ..



لكنها تواصل الانحدار .. وهي تشعر بأن النار ستندلع من
ردفيها من شدة الاحتكاك ..

لقد غادرت النفق .. لكن أين هي الآن ؟
يوجد جدار به فتحة هي التي سقطت منها .. فهل
هذا الجدار جزء من المعبد ؟
هنا سمعت زئيراً ..

وتذكرت حقيقة بسيطة : إنها في الغابة .. والنمور
تعيش في الغابات ..

وبالتحديد الببر الهندي .. العملاق الشرس رائع
الجمال ..

الأشجار المتشابكة تمتد أمامها إلى ما لا نهاية ..
والأعشاب تجعل الرؤية مستحيلة .. وفي مكان
ما ينتظر هذا القاتل

وقفت متصلبة عاجزة عن اتخاذ قرار سليم ..

وهنا سمعت من يتحنح ..

إن الصوت مألوف ..

إنه (قسمت) !

هرعت لتعاقبه في حنين وهي تغالب دموعها ..

إنه حي .. أنساها الفرح تحفظها .. لكنه لم ينس

تحفظه .. فتقبل عناقها في سلبية متصلباً كالتمثال ..

وأصدر أنه حين لامست ضلوعه ..

لم يكن هو (قسمت) الذي عرفته .. بل ما تبقى
منه ..

الكدمات تملأ وجهه .. والجروح تفعم جسده ..
ومن الواضح أن لديه ضلعاً أو اثنتين قد تهشمتا ..
وحين ابتسم أدركت أنه لن يأكل الخبز المحمص
ثانية في حياته ..

- « لكفك حي .. »

قال محاولاً أن يكون مرحاً :

- « لا أحد يموت بسهولة في الهند إلا بالكوليرا ..

هل نسيت ؟ »

- « وكيف قررت منهم ؟ »

- « حين قررت أن الشجاعة ليست مرادفاً للانتحار ..

عندئذ أطلقت ساقى للريح .. وسمعتهم عند المعبد

يتصايحون : إن الإنجليزية الكلية قد .. »

- « كلية ؟ ! »

- « هذا ما قالوه .. إن الإنجليزية الكلية قد اختفت

داخل (كالى) .. عندها هرعت إلى هنا لأجدك .. »

- « لكنهم يعرفون المكان مثلك .. »

- « يعرفون .. لكن أحدهم لا يجرو على الدنو من

(كالى) .. ولن يستطيعوا الخروج من باب المعبد
لأننى أوصدت الباب من الخارج بإحكام .. إتهم
محاصرون بالداخل .. أكثر من خمسين خناقاً .. «
هتفت فى حماس :

- « رائع ! والآن نبلى الشرطة ؟ »

قال وهو يتجه نحو فتحة البئر :

- « إن لدى حلولاً أكثر جذرية .. دعينا نسد هذه
الفتحة أولاً .. »

هنا تعالى الزئير من جديد .. فصاحت :

- « هذا البئر .. أئن ؟ »

- « لا عليك .. إنها أدغال الهند حيث لا نبالى بكل

زئير ببر نسمعه وإلا ما وجدنا وقتاً لشيء آخر .. »
وفى حنكة شرع يسد الفتحة مستعملاً الصخور
وأغصان الشجر ..

ثم جذبها من يدها .. وانطلقا يدوران حول
الجدار ..

عندها فهمت (عبير) أن هذا هو الجدار الخلفى
للمعبد .. وفهمت أن شبكة المنحنيات التى دخلتها جعلت
المسافة أطول مما هى عليه على سطح الأرض ..

هو ذا المدخل الرئيسى للمعبد وقد أوصده
(قسمت) .. وقام بتثبيت الباب بحبل غليظ وغصن
شجرة وأشياء أخرى وجدها .. وكلها تجعل الأمر
عسيراً حقاً ..

لكن أحداً لم يدفع الباب من الداخل .. كانوا منهمكين
فى مراقبة فتحة البئر .. ويبدو أنهم لم يفتنوا بعد
إلى أنهم سجناء ..

ورأت (عبير) (قسمت) يعمد إلى جرار فخارية
مسدودة بخرق من القماش .. فيسكب ما بها حول
الباب ..

ويدور حول المعبد متثاقلاً يواصل سكب محتوى
الأواني ..

- « هل ستحرقهم أحياء ؟ »

قال وهو مستمر فى السكب :

- « طبعاً .. لاختلاص من (الماتجوست) إلا بحرق

وكره .. »

- « لكن الشرطة »

- « لو استدعينا الشرطة لجازفنا بأن يصل أحد

الخناقين ليفتح الباب لزملائه .. »

ورأته (عبير) يرفع كفه فى الهواء ..

فى اللحظة التالية اشتعلت فيها النار .. ثم لامس بكفه السائل ..

وفى ثانية التهب كل النطاق حول المعبد ...
وإذا به (قسمت) يطوح ما تبقى من جرار إلى
سقف المعبد ليزيد النار ناراً ..

ثم ابتعد و (عبير) يرمقان المشهد المهيب ..
النار تتصاعد والدخان الكثيف يأكلان مملكة
(بوهواتى) الدموية ..

وسمعا صرخات من الداخل .. وصوت دقات على
الباب الثقيل .. لكن النار بدأت تتوهج فى الخشب العتيق ..
وتخيلت (عبير) الجحيم الدائر بالداخل :
لكنها - لدهشتها - لم تشعر بشفقة من أى نوع ..
سألته وهى ترمى الدخان الأسود فى السماء :
- « والباقون ؟ »

- « مازال كثيرون منهم هناك .. خاصة فى (حيدر
آباد) .. لكنهم سينقرضون حتماً حين تقوى شوكة
الحكومة .. »

- « وهل يأتى خناقو (دلهى) الآن ؟ »
- « حتماً .. سيعرف الجميع أن معبد (كالى)

يحترق .. وأعتقد أن الفرار هو خير ما نفعله الآن .. »



وفجأة من بين الأعشاب رأت (عبير) شبحاً
مألوفاً يدنو وهو يداعب قلماً جافاً بين أنامله :

- « تك تك تك ! تحية يا فتاة .. »

هتفت في دهشة :

- (المرشد) ! ظننتك لن تعود .. »

- « أنا أعود دوماً حين أشعر أنك نلت وطرك من
القصة .. ولا أعتقد أن هناك شيئاً شائقاً يمكن جعلك
تمرين به في قصة الخناقين بعد كل ما رأيت .. »

- « ولكن .. ماذا عن ؟ »

- « (قسمت) ؟ من ذا الذي لا يعرف (قسمت) ؟
إنه فتى شجاع وأعتقد أنه سيفر إلى جنوب إفريقيا
كما أراد .. »

قال (قسمت) وهو يللم أطراف ثيابه الممزقة :

- « هل أنت (المرشد) ؟ سعيد بمعرفتك يا أخي .. »

- « وأنا .. سرنى أنكم أمتعتم مس (هولرويد)

أو (عبير) .. »

- « هذا هو الغرض من وجودنا جميعاً .. نحن هنا

منذ قرأتنا عنا .. بانتظار أن تزورنا وتخوض مغامرة
معنا .. »

كان الدخان الأسود مستمرًا في التصاعد ..
وتهاوى الجدار الخلفى للمعبد محدثًا ضوضاء غير
عادية ..

قال (المرشد) :

- « تك تك تك ! هيا يا (عبير) ودعى فارسك
لأننا راحلان .. »

فدنت (عبير) من (قسمت) وقالت عيناها كلمات
كثيرة لم يجروا لسانها على التلفظ بها .. دائما هو
ينقذها .. سواء كان الجوال أو (شريف) أو البطل
الإغريقى (بيرياسوس) أو المشعوذ (قسمت) ..
قال لها كلمات صامتة مماثلة ..

وحين تحرك لسانها كان آخر ما قالته هو :
- « بالمناسبة .. (حزام) تكتب belt وليس pelt
كما كتبتها ! »

هز رأسه فى خجل .. وغمغم :
- « سأذكر هذا فى المرة القادمة .. »
وعندها .. جذب (المرشد) ذراعها فى رفق ..

وابتعدا عن المعبد المحترق .. وعن (قسمت) ...



فى القصة القادمة تدخل (عبير) عالماً متشابهاً
متكاملاً هو قطاع كامل من (فانتازيا) .. عالم
دسائس الملوك والأمراء المترددين والأرواح الهائمة
والبنات العاقات واليهود المتعنتين ...

عالم خرج من رأس عبقرى يدعى (وليام شكسبير) ..
إن الكتيب العاشر سيكون فريداً من نوعه حقاً ..



[تمت بحمد الله]

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

فانتازیا

الخناقون

فى هذه القصة نتعرف الخنق
كوسيلة محبة للتعبير عن النفس !
إن الخنق يحرر البشر ، ويقوى
الروابط الاجتماعية والأسرية ، ويزيد
من جمال الحياة ورونقها .. اليوم نجد
أنفسنا وسط عشيرة الخناقين .. ومعهم
سنتعلم روعة الخنق .. حتى لو غدونا
نحن أول الضحايا !



د. احمد خالد توفيق

الثمن في مصر ١٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

70A719Y - 7A70001 - 09-A100 : 2

فہرست: ۱۰۰۰